الإهـــداء

إلـى من لا أوفيهما حقهما شكراً وبراً وعرفاناً
إلـى من علماني أن المحبـة إيثـار وتضحيـة
إلـى من أرجـو رضاهمـا بعد رضى ربي سبحانـه
إلـى أبي وأمي أدامهما الله
إلـى زوجتـي الغاليـة
إلـى صالح ودميانا وديالا فلذات كبدي
إلـى أخوانـي وأصدقائـي جميعـاً
إلـى كل من وقف بجانبي وساعدنـي
أهـــدي هـذا العمـــل

محمد صالح جرار

الشكر والتقدير

فأتوجه بالشكر والتقدير والعرفان والوفاء لأستاذي الفاضل الدكتور إحمود أبو سليم، لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة التي ما كانت لتشق طريقها إلى النور لولا توجيهاته الثاقبة وإرشاداته الصائبة، ولكونه مثّل لي قدوة خيرة منذ أن نهلت محاضرتي الأولى في مرحلة الماجستير، فقلبه الواسع وعذب أخلاقه وطريقة تعامله مع طلبته أنارت دربي في سلوكي الذي سأسير به في مستقبلي بإذن الله.

كما وأتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي في قسم العلوم السياسية/ جامعة مؤتة، الذين بذلوا الجهد الكبير من أجل وصول الطلبة إلى المستوى العلمي المطلوب.

والشكر الجزيل إلى الأساتذة لجنة المناقشة على تكرمهم بقبول مناقشة الدراسة وإثرائها بملاحظاتهم وتوجيهاتهم التي ستكون محط اهتمام وتقدير وإضافة جديدة إلى الرسالة في سبيل إخراجها بالجودة والمكانة العالية والمنزلة التي تستحق.

والشكر موصول إلى جامعة مؤتة أعضاء هيئة تدريسية وإدارية وطلبة، فقد فتحوا لنا قلوبهم قبل مكانهم وطوقوا أعناقنا بعبق المحبة المستمد من تاريخ مؤتة الزاهر بالنصر والفخر والكبرياء.

محمد صالح جرار

فـهرس المحتويات

الملخص

تطور العلاقات الأمريكية السورية

(منذ حرب الخليج الثانية 1991 - 2008)

محمد صالـح جـ ـرار

جامعـة مؤتـه 2009

تهدف هذه الرسالة إلى تتبع التطور في العلاقات السورية الأمريكية وانتقالها من مرحلة التفاهم الضمني إلى المواجهة، وتحليل أبعاد التصعيد الأمريكي وآفاق الأزمة، والمراحـل التي مرت بها منذ حرب الخليج الثانية والتي شهدت انفراجاً ملحوظاً في العلاقـات التـي تمثلت بانضمام سوريا إلى التحالف الدولي تحت قيادة الولايات المتحدة لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت، مروراً بالتفاهم غير المعلن في العلاقات بين الدولتين خـلال حكـم الرئيس الأمريكي بل كلينتون، ثم مرحلة التوتر الذي ساد العلاقات بعد إحداث الحادي عشر من سبتمبر، ثم مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عـام 2003 الـذي شـهد اشـد المواقف توتراً في العلاقات بين البلدين.

وباستخدام مجموعة من المناهج العلمية (المنهج التاريخي، الوصفي التحليلي) فقد بينت الدراسة عدة أمور؛ أولاً: مدى نجاح سوريا في لعب دور في السياسة الإقليمية فـي ظـل التجاذبات الدولية والإقليمية المتعلقة بالصراع والمكانة في الشرق الأوسط بفضل نجاحهـا في بناء تحالفات إقليمية مما أعطاها ميزات ساهمت في لعـب دور مـؤثر فـي بعـض المنعطفات الهامة في الإقليم. ثانياً: أن التغيرات الإستراتيجية الحاصلة بعد انهيار الاتحـاد السوفيتي، والحرب الأمريكية على الإرهاب قد حولت بعض الأوراق الهامة التـي كانـت تحتفظ بها سوريا من أهمية استراتيجية إلى عبء عليها وذلـك بـسبب تحـول الـسياسة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لطرح مشاريع التدخل والوصاية والتغييـر في المنطقة العربية. ثالثاً: يوجد عدة سـيناريوهات مـستقبلية إزاء العلاقـات الأمريكيـة السورية في ظل الإدارة الأمريكية الحالية، ولكن السيناريو المرجح هـو المنـاورة بـين التعاون والصراع، استناداً إلى الرغبة الأمريكية في إتباع سياسة أكثر براغماتية مع دمشق لمحاولة الاستفادة من نفوذ سوريا في التعاطي مع بعض الملفـات الـشائكة فـي الـشرق الأوسط.

Abstract

Development of American-Syrian Relations
(Since 2nd Gulf War 1991-2008)

Mohammed S. Jarrar

Mu'tah University 2009

This thesis aimed at following-up the development of the American-Syrian relations and its transitional stages from mutual implicit understanding into open confrontation, the analysis of the American escalation and the crisis horizons. The stages the relations have passed through since 2nd Gulf War which witnessed openness that made Syria joined the international coalition led by the United States of America to force Iraq to withdraw its forces from Kuwait.

Also, the study covered the stages of implicit understanding during President Bill Clinton administration, then through the severed relations after 11/9 events, and finally, the worst conflict between the two countries after the occupation of Iraq in 2003 and following the Israeli war on Lebanon 2006 to present.

Through employing a group of scientific methodologies (historical methodology, descriptive analysis) the study showed many findings. Firstly, the success of the Syrian to play a significant regional role within the international alliance regarding the conflicts in the Middle East through building strong regional alliance that gave Syria an edge to be a key player in many conflicts in the area. Secondly, the strategic changes after the collapse of the Soviet Union and the American war on terrorism which stripped Syria many important papers on hand that were used as strategic assets in the Syrian policy to become a burden, because of the drastic shift in the U.S. foreign policy after 11/9 events to intervene directly to reflect the targeted changes in the Middle East by force. Thirdly, there are many expected future scenarios for the U.S. – Syrian relations under the current U.S. Administration, but the most possible scenario is the maneuvering between cooperation and conflict, based on the U.S. desire to follow a more pragmatic policy with Damascus to exploit the Syrian influence to address some Middle East difficult crises.

الفصـل الأول

خلفيـة الدراسـة ومشكلتها

1.1 المقدمـة:

احتلت سوريا طوال العقود الثلاثة الماضية، بسبب موقعها الجغرافي ودورهـا السياسي، موقعا إقليميا متميزا يفوق قدراتها الاقتصادية والعسكرية، وهي في ذلـك تعاملت باقتدار مع الكثير من الملفات الإقليمية التي تعاطت معها لتعزيـز مكانتهـا الإقليمية والدولية.

إلا إن تغير الوضع الدولي والمعطيات الدولية والإقليمية التي رافقـت انهيـار الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينات من القرن الماضي، حول هـذه الأوراق مـن أهمية استراتيجية إلى عبء ثقيل على سوريا، وربما إلى تهديد لها، الأمر الذي بات من الضروري إدراكه قبل فوات الأوان، ومعرفة كيفية التعامل معـه، لا سـيما إن الوضع العربي بشكل خاص والدولي بوجه عام لم يعد يسمح لدولة بحجم سوريا أن يكون لها دور سياسي أو أمنى فاعل خارج حدودها.

إن تغير البيئة السياسية الدولية والإقليمية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، وانفراد أميركا بقمة الهرم الدولي كقوة عظمى وحيدة في العالم، وتغير موازين القوى فـي ظل النظام الدولي الجديد، وما صاحبه من حروب على العـراق، حـرب الخلـيج الثانية1990 - 1991، والغزو الأمريكي للعراق عـام 2003، وطموحـات إيـران الإقليمية واستمرارها في برنامجها النووي وسياساتها في العراق ومنطقـة الـشرق الأوسط، كل ذلك يؤثر على سوريا، وبالتالي على نمط تحالفاتها الدولية والإقليمية.

ولعـل التغيـر فـي البيئـة الإقليميـة والدوليـة يـدفع سوريـا إلـى تغيير تحالفاتهـا أو الارتبـاط بتحالفـات جديـدة، بعـد اختـلال التـوازن الإقليمي وغيـاب الإجماع العربـي، أو إدخـال تغييـرات فـي سياسـتها الخارجيـة بعد أن انقلبت موازين القوى الدولية والإقليميـة وتغيـرت المعـادلات التـي كانت تعمـل سوريـا على أساسهـا، وذلك حتـى يمكن تلافـي المخاطـر التـي يمكـن أن تنجم عن تجاهـل هـذه المتغيـرات، مما يؤثر على التحالفـات

السـورية وسياستهـا الخارجيـة ودورها فـي النظـام الإقليمـي العربـي، وحتـى تتمكـن سوريا مـن مواكبـة متطلبـات التطـور وحقائـق الـسياسـة وموازيـن القـوى فـي هـذه المرحلـة.

ان سوريا هي إحدى دول الشرق الأوسط الذي هو أحد المناطق الأكثر أهميـة واضطراباً في العالم، وكثيراً ما يفرض ماضيه على حاضره، وكذلك على مستقبله، كمنطقة صراع مصالح ونفوذ خارجي في عقود الاستعمار الغربي فـي الماضـي القريب، والوجود الأمريكي الحالي في هذه المنطقة، لتجد نفسها في وضع يفـرض عليها التعامل مع الواقع بأكثر مرونة وعقلانية، وتفادي أي نمط من العلاقات خاصة مع أمريكا والذي قد تؤدي بها بالتالي إلى تكرار التجربة العراقية.

وترجع العلاقات الأمريكية- السورية إلى اختلافات حقيقية،فإضافة إلى مشكلة عدم التواصل بسبب عدم رغبة كلا البلدين أن تغير سياستها وأيـدلوجيتها المتعلقـة بمصالحها القومية الخاصة، فان كلا الطرفين ارتكبا أخطاء علـى صـعيد العلاقـة بينهما، ومن خلال أفعالهما في المنطقة، لذا فان التركيز على ذلك يمكن أن يـؤدي إلى اتهامات متبادلة، فلا أحد من البلدين جاهز لتقديم تنازلات للآخر، أو للتـضحية بأولوياته وآرائه المرتبطة بمصالحه القومية، فلا بد من إتباع وسائل عملية بما يخدم مصلحة البلدين، دون تقديم تنازلات لبعضهما وبعيدا عن وضع شروط مسبقة تتطلب تغييراً مستحيلاً في السياسة.

2.1 أهداف الدراسة:

تهـدف الدراسـة إلـى تتبـع التطور في العلاقـات الـسورية- الأمريكيـة وانتقالهـا من مرحـلة التفاهـم الضمني إلى التوتـر، وتحليـل أبعـاد التـصعيد الأمريكـي وآفـاق الأزمـة الراهنـة، والمراحـل التـي مـرت بهـا منـذ حـرب الخليـج الثانيـة التـي شهـدت عـودة الجـولات المكوكيـة بـين واشنطـن ودمشـق، الـذي قـام بهـا جـيمس بيكـر وزيـر الخارجيـة الأمريكـي الأسبـق والـذي اقنـع الرئيس السـوري السابـق حـافظ الأسـد بالانضمـام للتحالف الدولـي تحت قيـادة الولايـات المتحـدة لإجبـار العـراق

علـى الانسحاب من الكويت، ثـم بالمشاركـة فـي مؤتمـر مدريـد للـسـلام فـي تشـرين الأول من العام 1991.

مروراً بالتفاهم في العلاقات بين الدولتين خلال حكـم الـرئيس الأمريكـي السابق بـل كلينتـون، ثم مرحلـة التوتـر الذي ساد العلاقات الأمريكية- السورية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما سبقها من استلام إدارة بوش الابن، ومـا تبع ذلك من"قانون محاسبة سوريا" الذي جرت مناقشته من قبل الكونجرس الأمريكي في سبتمبر2002. ثم مرحلة الاحتلال الأمريكي للعراق 2003، الذي شهد تبدلا في الموقف السوري بشكل مختلف عن تعاطي الأسد الأب في حرب الخلـيج الثانيـة، فكان الموقف السوري من اشد المواقف صلابة، وهو ما دفع إلى التـصادم الـذي كانت سياسة الأسد الأب تقوم على تفاديه، ثم مرحلة المنعطف الحـاد فـي توجـه الولايات المتحدة نحو دمشق ابتداء من رفع الإدارة الأمريكية معارضتها عن قانون محاسبة سوريا وسيادة لبنان في الكونجرس، واللذين وقعهما الرئيس بـوش الابـن ليصبحا قانوناً بتاريخ 12/كانون اول2003، وانتهاء بالأحداث المتتابعة كـالحرب الإسرائيلية على لبنان في تموز2006، واتهام أمريكا لسوريا بدعم حزب الله اللبناني المعادي لإسرائيل وحتى وقتنا الراهن.

3.1 أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من الأثر الكبير الذي أحدثه تغيـر التجاذبـات الدوليـة والإقليمية المتعلقة بالصراع على الدور والمكانة في الشرق الأوسط، ومدى إمكانية احتفاظ سوريا بدورها الإقليمي على ضوء التحولات في العلاقات الدوليـة، وفـي المنطقة العربية.

فقد نجحت سوريا في لعب دور في السياسة الإقليمية من خـلال براغماتيتهـا وبناء التحالفات مع إيران، ومنظمات وفصائل لها تأثيرها كحزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية، مما أعطاها بعض الميزات التي ساهمت في لعب دور مؤثر في بعض الأحداث الهامة في الإقليم.

ومن هنا فان استمرار اعتبار الدور الإقليمي لسوريا وكأنه مجرد معطى ثابت، قد حول بعض الأوراق أو يكاد من أهمية استراتيجية لسوريا إلى عبء عليهـا، لا سيما أن الظروف الراهنة العربية والدولية تعارض لدولة بحجم سـوريا سـعيها أن يكون لها دور سياسي أو أمنى خارج حدودها، وعدم تمثل التغيرات الإسـتراتيجية الحاصلة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي(السابق)، لصالح هيمنـة الولايـات المتحـدة كقطب أوحد علـى السياسة الدولية، وتضعضع التضامن العربي منذ احتلال العراق للكويت1990، وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق2003، مع ما عناه من مـضاعفات سلبية على دور سوريا الإقليمي، وإعلان الحرب الأمريكية علـى الإرهـاب بعـد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتحول السياسة الأمريكية على خلفية ذلك لطـرح مشاريع التدخل والوصاية والتغيير في المنطقة العربية.

وتتميز هذه الدراسة بأنها قد تضيف إلى الدراسات السابقة أبعادا جديـدة مـن خلال البحث في العلاقات الأمريكية السورية وقرارات مجلس الأمـن الـدولي ذات الصلة بنظرة شمولية ضمن إطارها السياسي والقانوني، إضـافة إلـى ذلـك فـان الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع ركزت على بعض الجزئيات دون الإحاطة الشاملة بالإطار العام الذي يشكل ملامح التحول في السياسة الأمريكية،وأثرها فـي تطور العلاقات الأمريكية- السورية في الفترة الزمنية التي حددتها الدراسة.

وسيحاول الباحث قدر الإمكان أن تكون هذه الدراسة شاملة للمـستجدات فـي العلاقات الدولية والإقليمية بشكل عام، والعلاقات الأمريكية- السورية بشكل خاص.

4.1 مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة التعرف على التناقض بين السياسة الأمريكية والنظام السوري، وذلك كونها متعلقة بالصراع على المصالح الإسـتراتيجية لكـلا الطرفين، والتغير المفاجئ الذي طرأ على ما تراه أمريكا بأنه يدخل ضـمن نطـاق مصالحها والذي ادخل العلاقات الأمريكية السورية في أزمة، لا سيما مـع تغييـر أمريكا لأسسها المعتمدة في إدارة علاقاتها مع سوريا من المساومة إلـى التطويـق والذي قد يتجاوز مرحلة الاحتواء. الأمر الذي وضع سوريا في واحدة مـن أكثـر

المراحل تعقيدا وخطورة في تاريخها السياسي المعاصر، وصعوبة صياغة علاقات جديدة بين طرفين لا يقفان على مستوى واحد من الوزن والقوة، إذ تختلف دوافعهما وحاجتهما إليها.

5.1 منهج الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة في تحليلها للعلاقات الأمريكية السورية على المنهج التاريخي والذي يقوم على تتبع العلاقات الأمريكية-السورية، والبحث فيما مضى من وقائع وأحداث ودراستها وتحليلها وفق أسس من المنهجية العلمية،بشكل يساعد على تفسيرها والتوصل إلى نتائج بشأنها، والتي تساعدنا في فهم الحاضر وتنبي بشيء عما سيحدث مستقبلاً.

كما ستعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والذي يقوم على دراسة العلاقات الأمريكية- السورية كما هي في الواقع، فيهتم بوصفها وصفا دقيقا وصولا إلى العوامل التي تتحكم فيها.

ورصد اتجاهات فكرية امتد تأثيرها ليطال عملية تطور العلاقات وصولا إلى ما آلت إليه من تطورات، وهو الأمر الذي أدى بدوره إلى حدوث تغيرات في طبيعة العلاقات الأمريكية –السورية، مما يعني الحاجة إلى التحليل لربط عناصر ومتغيرات هذه الدراسة ومحاولة فهم الكيفية التي ارتبطت بها مع بعضها البعض.

6.1 أسئلة الدراسة:

بناء على هدف الدراسة ومشكلتها سوف تحاول الدراسة الإجابة على سؤال رئيسي ومجموعة أسئلة فرعية، وكما يلي:-

السؤال الرئيسي:- ما هي أسباب دخول سوريا في الاستهداف الأمريكي عبر السنوات الماضية؟ وهل ترمي الولايات المتحدة من الضغط على سوريا إلى إحكام العزلة والحصار عليها تمهيدا لإسقاط نظامها السياسي، أم تقف عند حدود إجباره على انجاز تغييرات نوعية في البنية السياسية السورية كي تتوافق مع المتطلبات الأمريكية؟.

أما بالنسبة للأسئلة الفرعية فهي كالتالي:-

1- ما هي المستويات الدولية التي عملت فيها السياسات الأمريكية للتأثير على سوريا؟
2- ما هو الموقف السوري من احتلال العراق، وأثره على العلاقات الأمريكية السورية؟.
3- ما هي الوسائل التي تأمل سوريا بإتباعها للتخلص من الضغوطات الأمريكية المتزايدة، وهل تستطيع سوريا من تخفيف حدة الحملات الموجهة ضدها؟.
4- كيف أثرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/2001، على تغيّر مفهوم الأمن القومي الأمريكي وأثر ذلك على العلاقات الأمريكية السورية؟.
5- ما هي الأسباب التي تدفع سوريا للتحالف مع إيران، والابتعاد عن النظام الإقليمي العربي؟.
6- هل يمكن لسوريا الحفاظ على تحالفها مع إيران في حالة تقارب سوري أمريكي؟ وهل السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط يمكن لها في المرحلة المقبلة ان تنهي التحالف بين البلدين؟.

7.1 الدراسات السابقة :

تزايدت في العقدين الماضيين من القرن المنصرم ومطلع الألفية الثالثة أهمية الدراسات والبحوث السياسية والإستراتيجية، لفهم مجرى الأحداث في المنطقة والطريقة التي تسير على منهجها، وطبيعة التدخلات الدولية والمصالح التي تنطلق منها في المنطقة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

من هنا، فقد تناولت عدة دراسات موضوع العلاقات الأمريكية السورية وتداعياتها على الاستقرار الإقليمي وتثبيت الاستقرار في المنطقة، وسيكون لهذه الدراسات دور كبير في أغناء هذه الدراسة، ومن أهمها ما يلي:-

دراسة(الخطيب،2003،بعنوان سوريا في مواجهة الإعصار الأمريكي).

تحدث الباحث في هذه الدراسة عن التصعيد المفاجئ للهجة التصريحات الأمريكية ضد سوريا، خصوصا بعد النصر العسكري الأمريكي في العراق

وإسقاط النظام. هذا التصعيد المفاجئ دفع إلى تكهنات بعض المراقبين بأن تكون سوريا هي الهدف الثاني بعد العراق.

وتتبع الباحث التطور في العلاقات السورية- الأمريكية من التفاهم الضمني إلى المواجهة والتوتر الذي ساد العلاقات تحديدا بعد 11/ سبتمبر.

وتناول الباحث أيضاً الدور الإسرائيلي في تعثـر العلاقـات الأمريكيـة- السورية، مستغلة الشحنة الانفعالية لأحداث سبتمبر إلى أقصى مدى، وصولا إلى سعيها المحموم للزج باسم سوريا ضمن اللائحة الأمريكية للإرهاب، تارة مـن خلال الملف الفلسطيني وأخرى من مدخل الملف العراقي.

دراسة (الاشعل،2007، بعنوان الإستراتيجية الأمريكية إزاء سوريا وإيران).

تحدث الباحث في هذه الدراسة عن ارتباط السياسة الأمريكية تجاه سـوريا ارتباطا مباشراً بسياستها تجاه إيران، بعد ان كانت إيران جزءاً من الثنائي إيران-العراق، ولكن إخراج العراق من المعادلـة الأمريكيـة تجـاه البلـدين، والتقارب الإيراني السوري، جعل النظرة الأمريكية تجاه سوريا لا تنفصل عـن نظرتها تجاه إيران.

وتناول الباحث أيضا تباين الموقف الرسمي الأمريكي بين فكرة الربط بـين سوريا وإيران وفكرة إفراد سوريا، ولو على سبيل الأولويـة والترتيـب، دون إغفال وضع الحلفاء الأربعة إيران وسوريا وحزب الله وحماس في سلة واحـدة، وهو نفس الموقف الإسرائيلي مع خلاف تكتيكي بين البلدين فيما يتعلـق بـرأس الحربة في هذا التحالف. لكن يبدو إن الموقفين قد اتفقا على أن إيران هي رأس الحربة وان المواجهة مع إيران سوف تؤدي إلى تفكيك التحالف الرباعي.

(Julie,2008, Resumption of American Relations with Syria is Costly)

يتحدث الباحث في هذه الدراسة عن التطلع السوري لإقامة علاقات أفضل مع الولايات المتحدة، وإنها باتت على مفترق طرق ما بين إيران وحـزب الله، وبـين رغبتها في الانضمام إلى المعسكر الأكثر براغماتيه والذي يضم السعودية ومـصر والأردن والولايات المتحدة.

ويضيف أن الأسد قام بإرسال بالونات اختبار تشير إلى انه يريد علاقات أفضل مع الولايات المتحدة، بالون الاختبار الأول قرار الأسد المفاجئ إرسال مبعوث سوري إلى أنا بوليس، والبالون الثاني كان تضييقه الخناق على عمليات تنظيم القاعدة، فقد قام بمنعهم من عبور الحدود إلى داخل العراق.

واعتبر الباحث إلى أن الثمن المطلوب لإقامة علاقات أكثر حميمة بين الولايات المتحدة وسوريا سوف يكون تخلي الولايات المتحدة عن الإصلاحات الديمقراطية في لبنان والتأكد من ان إسرائيل سوف تقوم بإعادة مرتفعات الجولان الإستراتيجية.

دراسة (الاشعل، 2005، بعنوان هل يعتبر القرار 1559 جزءاً من الشرعية الدولية).

تحدث الباحث في هذه الدراسة عن قرار مجلس الأمن الدولي 1559، الذي صدر بالإجماع بناء على مشروع أمريكي- فرنسي، الذي انقسم العالم حوله، حيث أيده البعض ضمنا ولم يعترض عليه على أساس أن فرنسا التي عرفت بدعمها للقضايا العربية، شاركت في صياغته. إضافة إلى أن معارضة القرار تعني مناوأة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي مجتمعين، ولم يعترض على القرار في البداية سوى سوريا ولبنان الموجه ضدهما القرار.

وتحدث الباحث عن هذا القرار من الزاويتين القانونية والسياسية، وكيف إن مجلس الأمن قد طوع الميثاق لوظيفة سياسية واغفل الجانب القانوني، وصار أداة طيعة في يد واشنطن مكافأة لقوتها وتميزها وتصدرها قمة النظام الدولي، وتحدث عن الثغرات القانونية في هذا القرار واعتبر أن القرار يعد تجاوزا من جانب المجلس لسلطاته واختصاصاته وفق الميثاق، وهدره لقواعد القانون الدولي المتعلقة بالسيادة والاستقلال وعدم تدخل المنظمة الدولية فيما يعد من قبيل الاختصاص الداخلي للدول وفق قواعد القانون الدولي، وانتهاك المجلس للميثاق بهذا القرار. وبالرغم من ان القرار صدر مستوفيا الجوانب الشكلية المطلوبة لصدوره، إلا انه قد خالف الميثاق في الموضوع وطريقة المعالجة، ولم ترتكب المخالفة سعيا وراء هدف

يخدم المنظمة الدولية، ولكنه ضاعف الانتهاك بضلال الهـدف والغايـة، فتجـاوز السلطة وانحرف عن القصد.

دراسة (باكير،2005، بعنوان جدل كبير حول العلاقة مع سوريا).

تحدث الباحث في هذه الدراسة من انه لا رؤية واضحة لدى الولايات المتحدة ولدى مؤسسات صنع واتخاذ القرار داخلها تجاه سوريا وكيفية التعامل معها، وعمل الباحث مقاربة بين رؤية المخابرات المركزية الأمريكية والتي ترى انه في الوقـت الراهن الذي لم تستقر فيه الأمور بصورة آمنة في العراق ليس من مصلحة الولايات المتحدة أن تقطع صلة الشراكة في مجال الاستخبارات مع الجانب السوري، خاصة أن سوريا عقب أحداث 11/ سبتمبر فتحت كل ملفاتها الاستخبارية وأبدت اكبر قدر من التعاون مع الولايات المتحدة، وبين مقاربة وزارة الـدفاع والمحـافظين الجـدد والتي تذهب بخلاف ما ذهبت إليه وكالة الاستخبارات المركزية، وهـو ضـرورة استخدام القوة مع سوريا وحتى احتلالها إذا لزم الأمر بمـساعدة إسـرائيل أو عـن طريقها، وبين مقاربة وزارة الخارجية والكونجرس الأمريكي،التي تقف بـين هـذا الطرح وبين ذاك وترى ضرورة إتباع سياسة العصا والجزرة مع سوريا، وان يـتم تقديم حوافز لها إذا لزم الأمر للتعاون مع أمريكا، وعقابها في حال قصرت في تنفيذ أي من المطالب الأمريكية.

الفصـل الثاني

العناصر الرئيسية للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط

1.2 المقدمـة

تضم منطقة الشرق الأوسط إحدى وثلاثين دولة يبلغ عدد سـكانها الإجمـالي أربعمائة مليون نسمة، وجميعها عربية ما عدا تركيا، وإيران، وإسرائيل. بالإضـافة إلى الدول العربية الواقعة في شمال أفريقيا والتي تضم المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، وموريتانيا. وقد تشكلت معظم هذه الدول في القرن العشرين بواسـطة لعبـة القوى بين الأمم الكبرى، وكذلك بواسطة لعبة العلاقات الدولية، فالعراق مثلاً شـكله تشرشل بعد الحرب العالمية الأولى، وسوريا، ولبنان، وشـرقي الأردن، كلهـا دول تشكلت بعد الحرب العالمية الثانية بالشكل الذي نعرفه اليوم، وبالتالي فلا يمكن فهـم مصير هذه المنطقة إن لم نأخذ بعين الاعتبار التدخلات الخارجية للقـوى العظمـى التي كانت أوروبية في نهاية الحرب العالمية الثانية. ثـم أصبحت أمريكية بعد ذلك (Fredy, 2005).

إن معظم المؤشرات والأحداث والوقائع في منطقة الشرق الأوسط تـشير إلـى حقبة تاريخية جديدة يتحفز لها العالم برمته، وفي الأخص منطقة الـشرق الأوسـط والعالمين العربي والإسلامي. وكثير من الدراسات والأبحاث التي كتبهـا البـاحثين تنبأت بمتغيرات جوهرية قيمة للمنطقة تفيد أن متغيرات كثيرة حصلت وأثرت على بلدان الشرق الأوسط بلا استثناء، وأن هذه المتغيرات في طريقها لإرسـاء قواعـد وضوابط للتفاعل بين الأمم والقارات والمناطق على نحو مغاير لما شـهده العـالم لقرون طويلة.

فتبدو أهم المعطيات الدالة على المتغيرات القادمـة مـن الولايـات المتحـدة الأمريكية نفسها، فالولايات المتحدة مازالت دولة قائدة، تترك تطوراتها وخياراتهـا الإستراتيجية بصمات وتأثيرات عملية على كل ما يجري في العالم وخاصـة فـي المنطقة العربية(عوض، 2008).

2.2 خصائص عامة مشتركة لمسارات الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط

كانت الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي طوال الحرب البـاردة سـهلة الفهم لكنها صعبة التنفيذ بسبب الظـروف الكثيـرة والمعقـدة، فقـد كانـت هـذه الإستراتيجية في ذلك الوقت قائمة على احتواء التوسع السوفيتي وبناء ترسانة هائلة من الأسلحة النووية لردع الاتحاد السوفيتي عن اسـتخدام القـوة العـسكرية ضـد الولايات المتحدة أو حلفائها.وتركزت السياسة الأمريكية الجديدة على التـواؤم مـع انهيار الشيوعية في روسيا وأوروبا الشرقية، ولكن يمكن القول بأن الفترة الانتقاليـة انتهت وأصبحت هناك حاجة ماسة إلى إستراتيجية جديدة،إذ لم تعد ثمـة تهديـدات كبرى تواجه الولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وإن كان ثمة تهديدات من الدرجة الثانية والثالثة مثل العراق وإيران وكوريـا الـشمالية والقاعـدة وطالبـان والأوضاع في البلقان والصومال ورواندا، وهي أخطار قليلة الأهمية لا تهدد وجود الولايات المتحدة.

إن الإستراتيجية القادمة قائمة على الوقاية وتركز على الأخطار التي إذا أسيئت إدارتها يمكن أن تتحول إلى أخطار كبرى تهدد الوجود الأمريكي، وهذه المخـاطر ليست في الوقت الحاضر تهديدات ينبغي دحرها أو ردعها، وإنما هي مخاطر يمكن منعها والوقاية منها، إذ إنها يمكن أن تتحول إلى تهديدات كبرى ومن هذه:

1- أن تفقد روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق سيطرتها على التركة النووية.

2- أن تتجه الصين نحو العداء للولايات المتحدة بدلا من اتجاه التعاون والارتباط بالنظام الدولي.

3- أن تنتشر أسلحة الدمار الشامل وتشكل خطراً عسكرياً مباشراً على الولايات المتحدة.

4- أن تقع على أرض الولايات المتحدة أعمال إرهاب مدمر علـى نطـاق لـم يعرف من قبل وبكثافة غير مسبوقة (كارتر وبيري،2001).

يفيد تقرير استخباري تم نشره في مجلة التقرير الاستخباراتي للإستراتيجية الأمريكية الخارجية عام 2005 أن من بين المصالح الأمنية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، بعد الحملة الأمريكية على أفغانستان، إبرام تسويات سلمية في الشرق الأوسط تستقر مع إعادة رسم الخريطة السياسية الجديدة للمنطقة برمتها والتي تشتعل بالصراعات الإقليمية والدولية وفقا للتخطيط الأمريكي، بينما يبقى الاهتمام الأمريكي في المنطقة هو المحافظة على التفوق العسكري الإسرائيلي وخلق كيانات صغيرة في المنطقة للمحافظة على ذلك التفوق. ومن ثم تأمين تدفق البترول من الخليج العربي وبحر قزوين إلى الغرب بالمعدلات والأسعار الملائمة له، وتأمين خطوط المواصلات البحرية العالمية بما يخدم حرية التجارة الدولية بلا قيود، بهدف تأمين أسواق كبيرة قادرة على دفع عجلة الاقتصاد الأمريكي من خلال تدفق الصادرات الأمريكية والأوروبية، وفي مقدمتها السلاح، إلى الدول العربية، ودول جنوب آسيا.

حيث انه ووفقاً لذلك فان كبار المخططين السياسيين الأمريكيين يدرسون أحوال الدول العربية وذلك بهدف تفكيك دول المنطقة وإعادة تركيبها من جديد، بل ان بعض الدول ستظهر في المنطقة وسيختفي بعضها الآخر (التقرير الاستخباراتي للإستراتيجية الأمريكية الخارجية، 2005).

ويضيف التقرير أن المخططين الأمريكيين يرون أنه بالإمكان تقسيم دول المنطقة وإعادة تشكيلها كما حدث عندما قام في 3 نوفمبر 1916، مارك سايكس ممثل الإمبراطورية البريطانية، وفرنسوا جورج بيكو ممثل مصالح الإمبراطورية الفرنسية، بالتوقيع على اتفاق سايكس بيكو، وهو الاتفاق الذي تم بموجبه تشكيل الدول العربية كما هي اليوم. ومما لا شك فيه أن اتفاق سايكس بيكو كان نتيجة صراع بين الدولتين العظميين في ذلك الوقت بريطانيا وفرنسا، بحيث أعادا تشكيل منطقة الشرق الأوسط كعمل من أعمال سياسة القوى الأوروبية الكبرى في زمن التوسع الاستعماري الأوروبي عقب الحرب العالمية الأولى، وصحيح أن هذا الاتفاق كان محصورا في المشرق العربي بالتحديد في سوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، والعراق إلا أن دوره كان يشمل الشرق الأوسط بمفهومه الأوسع. فبالإضافة إلى

دول المشرق العربي، كانت هناك مصر وإيران وتركيا والجزيـرة العربيـة، إلـى جانب أفغانستان ودول آسيا الوسطى الروسية آنذاك، السوفيتية فيما بعد. وقد كـان من أهم أسباب اتفاق سايكس بيكو التي اتضحت فيما وضع حـد نهـائي للـصراع الروسي البريطاني الذي بلغ ذروته في القرن التاسع عشر، وعرف باسـم "اللعبـة الكبرى" ومع بدايات القرن العشرين وسقوط روسيا القيصرية وقيام ثورة شـيوعية غير معروفة الأهداف لأغلب الأوروبيين وغامضة لمعظم العالم، أرادت بريطانيـا وفرنسا احتكار هذه المنطقة باستبعاد روسيا كلياً عنها، ولذلك قامتا باحتلال الجزء العربي من الشرق الأوسط وقد كان لقيام الثورة البلشفية دوراً واضحاً فـي إبطـال سرية اتفاق سايكس بيكو والكشف عنه، وشكل هذا الكـشف الروسـي أول فجيعـة لحلفاء بريطانيا وفرنسا من العرب في التاريخ المعاصر (التقريـر الاسـتخباراتي للإستراتيجية الأمريكية الخارجية، 2005).

بالرغم من وجود بعض الاختلافات والفوارق في الظروف التاريخية بين دول المشرق العربي ودول الجزيرة العربية التي ساهمت في ظهور كيانات تلك الدول، إلا أنه يمكن القول أن القاسم المشترك الدائم لهذه الدول هو أن هناك ملامح خريطة جديدة للمنطقة رسمت على الأرض. وقد كان لأحداث العراق منذ الحرب العراقية الإيرانية في عام 1980، ومن بعدها "عاصفة الصحراء" في عام 1991، والحرب الأميركية على الإرهاب منذ 11سبتمبر 2001، واحتلال العراق عام 2003، دور كبير في التوجه نحو إعادة رسم الخريطة العربية الجديدة، مشرقا ومغربا وخليجيا.

تحتل المنطقة العربية وخاصة بلاد الشام والرافدين مرتبة متقدمة فـي الحـدث الإقليمي والدولي، وتتسبب بإعادة هيكلـة الـسياسات، والاسـتراتيجيات الغربيـة والأمريكية، وتبقى إلى حين بيت قصيد المشروع الغربي وتحولاته. فكما هو معلوم فأن أدوات السيطرة الغربية السابقة تنهار يوما بعد يوم، وتفقد قدراتها، والغرب جاد بعدم الانسحاب من المنطقة خالي اليـدين. وأمريكـا تتحفـز لتغييـر جـدي فـي استراتيجياتها وأدواتها في المنطقة، يمكن تلمسها والتعرف إليها، وتجـري عمليـة تأهيل المنطقة الآن، قبل سحب القوات الأمريكية من العراق بحيث تكـون عمليـة

الانسحاب وتركيب الإدارة الجديـدة هـي بدايـة انطلاقهـا ووضـعها موضـع التنفيذ(عوض، 2008).

لا شك إن من أهم ما تريده الولايات المتحدة الأمريكية من المنطقة هو الـنفط. فبين عامي 1914 و1922م لم يكن النفط عنصرا هاماً ولا أساساً في حياة الـشرق الأوسط، ولا فاعلاً في السياسة الأوروبية، ولم تكن أميركا أصلا موجودة سياسياً في المنطقة لذلك لـم تدخل الثروة النفطية كثيرا في حسابات خرائط الدول لحظة إعداد السياسات وخطط التقسيم والهيمنة من الدول الاستعمارية(التقريـر الاسـتخباراتي للإستراتيجية الأمريكية الخارجية، 2005).

هناك العديد من العناصر الأساسية للإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط والتي تشكل مفتاحاً رئيسياً لفهم خصائص السياسة الأمريكية، وخصوصا في كيفيـة تعاملها مع الملفات الهامة في المنطقة. وعلى الرغم من أن هذه السياسة قد تختلـف ما بين دولة وأخرى من دول المنطقة، فإن هناك عدة خصائص تجعل هذه الـسياسة تندرج في إطار إستراتيجية متكاملة تجاه المنطقة ككل، وإن من أهم ما يميـز هـذه الإستراتيجية الترابط البنيوي بين مساراتها وملفاتها الرئيسية، بمعنى أن كـل تلـك المسارات والملفات تشكل حزمة واحدة داخل هذه الإستراتيجية الأمريكيـة، بحيـث توجد حالة الترابط والتداخل فيما بينها، كما أنها تتسم بالتدرج والمرحلية في التنفيذ، إذ من الصعب إنجاز كل الأهداف في وقت متزامن، وإنما يـتم ذلـك وفـق عـدة مراحل، بحيث يتم التنفيذ وفق أولويات محددة مرتبطة بالتركيز على تنفيذ مـا هـو ضروري وطارئ في كل فترة. وتركز أولويات الإدارة الأمريكية على التعامل مع الدول التي تعتبرها دولاً مارقة وداعمة للإرهاب، ثم التركيز على الدول المحوريـة في المنطقة، مثل مصر والسعودية وأيضاً المغرب، حيث تـرى الإدارة أن تحقيـق أهداف السياسة الأمريكية إزاءها يمكن أن يترك آثاراً إيجابية على هـذه الـسياسة ككل. ولا ينفى ذلك كله أن السياسة الأمريكية في المنطقة تتسم بالقدرة على التكيف مع تطورات الأحداث من خلال تعديل جهودها وفق ما تقتضيه الظـروف والبيئـة السياسية المحيطة في المنطقة.

ويرى التقرير الاستراتيجي العربي أن العناصر الرئيسية للإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط تتمثل في:

1- الحرب ضد الإرهاب: حيث أصبحت الحرب على الإرهاب مكوناً رئيسياً في الإستراتيجية العالمية الأمريكية عموماً، وإزاء منطقة الشرق الأوسط خصوصاً. وتتعامل الولايات المتحدة مع تهديد الإرهاب في سياستها الخارجية من خلال ثلاثة مستويات رئيسية، يتمثل أولها في مجابهة المنظمات والجماعات الإسلامية العنيفة أما المستوى الثاني، فهو يتمثل في استهداف الدول التي ترعى المنظمات الإرهابية بأي صورة من الصور. ويتمثل المستوى الثالث في أغلب الدول العربية التي تطالبها الإدارة الأمريكية بإدخال إصلاحات شاملة، انطلاقاً من رؤية مفادها أن الثقافة السياسية للدول العربية هي المسئولة بالدرجة الأولى عن إنتاج الأصولية الإسلامية المتطرفة.

2- مكافحة انتشار الأسلحة النووية: وتعد إستراتيجية الولايات المتحدة في الحد من انتشار الأسلحة النووية في منطقة الشرق الأوسط ركيزة أساسية من إستراتيجيتها العالمية، إلا أن هجمات سبتمبر 2001 ألحقت بهذه الإستراتيجية تطوراً هائلاً دفع بها نحو مزيد من التشدد في منع الانتشار النووي، سواء بالقوة العسكرية أو بالدبلوماسية الإكراهية أو بمزيج من الضغوط والحوافز.

3- التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط: بحيث أصبح التحول الديمقراطي في الدول العربية مكوناً رئيسياً من مكونات الإستراتيجية الخارجية الأمريكية، وهو ما يمثل بحد ذاته تحولاً جوهرياً في تلك السياسة، إذ ظلت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط تتجاهل مطالب الديموقراطية وحقوق الإنسان في سبيل ضمان استقرار النظم الصديقة وصيانة مصالحها الحيوية(التقرير الاستراتيجي العربي، 2007، ص13).

3.2 مشروع الشرق الأوسط الكبير

مبادرة الشرق الأوسط الموسع، والتي بلورتها الإدارة الأمريكية، ثم جرى الاتفاق على مضمونها في اجتماع قمة الدول الثماني في سي ايلاند بالولايات المتحدة في

تموز 2004. هي مبادرة تقوم على فكرة مساندة دول الشرق الأوسط في التقدم نحو الديمقراطية وبناء اقتصاديات السوق التي تنتج أكبر فرص عمل للمنطقة من خلال تمكين القطاع الخاص على أخذ الريادة في المجال الاقتصادي، وتنفيذ إصلاحات في المجال الاجتماعي، خاصة التعليم وحقوق المرأة(التقرير الاستراتيجي العربي، 2007، ص13).

عندما يتناول المرء موضوع الشرق الأوسط الكبير في النظام العالمي الجديد فإننا نصطدم بالغموض الذي يحيط بالمصطلحين – الشرق الأوسط الكبير و النظام العالمي الجديد- فلكل من المصطلحين دلالاته الآنية القابلة للاستبدال لاحقاً. كما يتمتع مصطلح الشرق الأوسط بتاريخ طويل من الفوضى الدلالية التي طرحت العديد من الردائف والمسميات البديلة. فهو حيناً الشرق الأدنى وأحياناً المشرق العربي وغالبا الشرق الأوسط منذ ثبوت التفوق الأمريكي خلال العقدين الأخريين للحرب الباردة (شلبي، 1999).

إن أكثر مما تمتاز به المشاريع السياسية الأمريكية هو طابعها البراغماتي الذي يبعدها عن الإيديولوجيا، والذي يجعلها في حالة من التبدل المستمر تجعل من دلالات المصطلح السياسي الأمريكي دلالات متغيرة وذلك حسب الظروف السائدة. من هنا فإنه يمكن القول بأن الخطأ الأول في التعاطي مع المشاريع السياسية الأمريكية هو خطأ إعطائها دلالات ثابتة ومحددة (إيديولوجية) على الدوام. فقد طرح الأمريكيون فرضيات النهاية (التاريخ والقوميات والإيديولوجيا والأنثروبولوجيا وغيرها من النظريات السياسية) ثم طرحوا سياسة أو مفهوم العولمة والتي قاموا بوضع المؤسسات الدولية لها ليعودوا فيطرحوا سياسة ما تسمى بصدام الحضارات ويعيدوا سياسة الأحلاف بما يشكل تراجعاً تاماً عن الطروحات السابقة.

وبناء على ذلك فأنه من المفيد عدم قراءة مشروع الشرق الأوسط الكبير قراءة إيديولوجية(النابلسي، 2005).

النظام العالمي الجديد مصطلح أطلقه الرئيس بوش الأب 1991 ليشير من خلاله على مفهوم القطب الواحد أو بمعنى أخر تفرد الولايات المتحدة بحكم العالم

ومسئوليتها عن إعادة تنظيمه وفق المبادئ الديمقراطية – الليبرالية، لكـن الـرئيس كلينتون أدرك ضخامة هذه المسؤولية فأشرك فيها دول حلف الناتو.

من هنا برزت حاجة السياسة الأمريكية لإيجاد تسميات جديدة لمنطقة الـشرق الأوسط بعد التغييرات المتوقعة ومن أجل شموله لدول تعتبر لاعبـاً رئيـسياً فيـه كإيران وأفغانستان وباكستان وإسرائيل وهو تكريس يحتاج إلـى مخـاض سياسـي عسير يشمل إعادة ترتيب المنطقة على النمط الأمريكـي دون أن ننـسى عقبـات مشاركة العراق في هذه العضوية، فإن دول آسيا الوسطى – بحر قـزوين تعتَبـر امتدادات إستراتيجية لتركيا وإيران مما يجعل ضـمها إلـى المنطقـة ضـرورياً، خصوصاً بوجود مصالح إستراتيجية أمريكية من الدرجة الأولى فـي تلـك الـدول وموقعها في الحزام الأوراسي المحيط بالصين، وهكذا يبدو الحـديث عـن موقـع الشرق الأوسط في النظـام العالمي الجديـد وكأنه يتنـاول مـستقبل أراضـي الإمبراطـورية الفارسيـة (جغرافيـا) فـي ظـل تقاسـم نفـوذ أمريكـي أوروبـي(شلبي، 1999).

لقد جاءت مبادرة الشرق الأوسط الكبير التي أعلنها الرئيس الأمريكي جـورج بوش الابن في آذار 2004 وطرحها مرة أخرى في قمة مجموعة الثماني في تموز من العام نفسه، جاءت لتؤكد على مجموعة من القـيم التـي تـدعو إلـى تـشجيع الديمقراطية والحكم الصالح والرشيد وبناء المجتمـع المعرفـي وتوسـيع الفـرص الاقتصادية من خلال إزالة الحواجز والقيود التجاريـة والاقتـصاد الحـر وتـدفق البضائع بما يخدم الشركات المتعددة الجنسية واستثمارها في عالم الجنوب.

ورغم أهمية ما تدعو إليه هذه المبادرة إلا أن هناك تساؤلاً يبحث عن إجابة يـدور حول الدوافع السياسية والإستراتيجية التي دفعت الولايات المتحدة لطرح مثل هـذه المبادرة، علما بأن مراجعة تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية يبين أنهـا أطاحـت بأنظمة ديمقراطية منتخبة خلال فترة الحرب الباردة كما حدث مع إسـقاط حكومـة محمد مصدق في إيران عام 1953 وحكومة السلفادور الليندى المنتخبة في تـشيلي في سبتمبر 1973 وما تسعى لتحقيقه الآن في فنزويلا، وهو ما دفع الـبعض إلـى القول بان إطلاق مثل هذه المبادرة يذكرنا بما سبق وأطلقه بـوش الأب في أعقاب

حرب الخليج برفعه شعار النظام العالمي الجديد والذي لم يدم أطول من فترة رئاسته في البيت الأبيض، خاصة وان ما طرحه من شعارات الديمقراطية والحرية هي في جوهرها نفس الآراء التي تحرك مبادرة الشرق الأوسط الكبير(البرصان، 2004).

لقد واجهت مبادرة الشرق الأوسط الكبير انتقادات واسعة في العـالم العربـي، لكونها محاولة لفرض الديمقراطية على دول المنطقة من الخارج بالقوة دون النظـر إلى خصوصية الشعوب والدول العربية بشكل خاص، ومحاولة لفـرض النمـوذج الديمقراطي الغربي على العرب، وهو ما نفته الإدارة الأمريكية ، كما رفضت الربط بين التحول الديمقراطي وتسوية الصراع العربـي الإسـرائيلي، وذهبـت إلـى أن استمرار هذا الصراع يجب ألا يعيق الإصلاح السياسي والاقتصادي بأي حال مـن الأحوال، بل ذهبت إلى أن هذا الإصلاح قد يسهم بشكل فعال فـي حـل وتـسوية الصراع ذاته.

وتتعامل الإدارة الأمريكية مع هذه المبادرة باعتبارها توفر شراكـة دولية بينهـا وبين مجموعـة الدول الصناعية الكبرى لتركيز الجهود والتنسيق فيما بينها وتقاسم الأدوار وتوفير الموارد لهذه المهمة(التقرير الاستراتيجي العربي، 2007، ص17) .

لقد ركزت الولايات المتحدة، على صعيد الممارسة العملية، على مجموعة من العناصر السلوكية الرئيسية لتنفيذ هدف التحول الديمقراطي المنـشود مـن خـلال مبادرة الشرق الأوسط الكبير وتتمثل هذه العناصر في:

1- زيادة الدور الذي تقوم به السفارات الأمريكية في العواصم العربية لتنفيذ عملية التحول الديمقراطي، بدءاً من الرصد الدقيق لكل ما يجرى في الدول العربية مـن تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية، مروراً بالاتصال الدوري والمـستمر مـع الأطراف السياسية الفاعلة من أعضاء الحكومات العربيـة والأحـزاب الـسياسية ومنظمات حقوق الإنسان، وذلك في إطار تنفيذ جولات من الحوار السياسي مع تلك الأطراف بشأن قضايا التحول الديمقراطي.

2- تكثيف الاهتمام بتقديم مساعدات ودورات تدريبية وإقامـة مـؤتمرات تعاونيـة وورش عمل في جميع المجالات التي تعزز مسألة التحول الديمقراطي، مثل الشئون السياسية والمجالات الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية الخاصـة بحقـوق الإنـسان

والمرآة والقضايا التعليمية، وذلك بهدف خلق حالة من الوعي السياسي والثقافي بالقضايا الديمقراطية واستغلال القناعات الديمقراطية المطالبة بالإصلاح الموجودة بالأساس في كثير من الدول العربية، مما يخلق مناخاً من الحراك السياسي نحو المطالبة بالديمقراطية. علاوة على تمكين التيارات السياسية المهمشة في العملية السياسية من التحاور مع السلطات الحاكمة بالدول العربية حيث تتدخل السياسة الأمريكية كطرف ثالث في المعادلة للضغط على السلطات السياسية للحوار والتفاوض مع التيارات السياسية، وهو ما بدا واضحاً في فعاليات منتدى المستقبل الذي تم تنظيمه في إطار مبادرة الشرق الأوسط الموسع،الذي عقد أول أنشطته في مدينة الرباط في كانون ثاني لعام 2004، وفى الوقت نفسه يستفيد منفذو السياسة الأمريكية من مثل هذه الحوارات في فهم هذه التيارات ودراسة إمكانية التعاون معها أو توظيفها بشكل ما لصالح إستراتيجية التحول الديمقراطي.

3- إشراك الإدارة الأمريكية للمراكز البحثية والمؤسسات الصحفية ومنظمات المجتمع المدني الأمريكية في عملية مساندة التحول الديمقراطي والإصلاح في الدول العربية، من خلال الدعم المالي لتلك المؤسسات ومن خلال استخدام الموارد المخصصة لهذا الغرض من مبادرة شراكة الشرق الأوسط أو من خلال تمويل وزارة الخارجية الأمريكية، ومنها تخصيص مبلغ قدره 40 مليون دولار للمعهد الوطني للديمقراطية، بهدف زيادة جهوده في مجال نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط.

4- تحفيز بعض الدول على الإصلاح والتحول الديمقراطي بعقد اتفاقيات التجارة الحرة مع الولايات المتحدة، حيث أن توقيع بعض الدول العربية هذه الاتفاقيات مع أكبر اقتصاد في العالم يعتبر فرصة لخلق المزيد من فرص العمل في تلك الدول وتشجيع الاستثمار الخارجي المباشر وزيادة صادراتها إلى أسواق الولايات المتحدة، وهو ما توظفه الولايات المتحدة كدافع لتعزيز عملية التحول الديمقراطي في تلك الدول.

5-اعتماد الإدارة الأمريكية على الدبلوماسية الشعبية، التي تهدف إلى تحسين صورة الولايات المتحدة في العالم العربي والإسلامي. وتعمل سياسة الدبلوماسية

الشعبية من خلال برامج التوعية الإعلامية داخل المجتمعات العربيـة والإسـلامية للتعريف بقيم ومعايير الديمقراطية، وما ترمي إليه السياسة الأمريكية في المنطقـة، مما قد يكسب تلك السياسات نوعاً من التفهم والقبـول لـدى بعـض الفئـات فـي المجتمعات العربية والإسلامية، كما تعتمد هذه الأداة على تـشجيع إيفـاد البعثـات التعليمية من الدول العربية إلـى الولايات المتحدة، وجرى تخصيص ميزانية قدرها 430 مليون دولار من ميزانية وزارة الخارجية الأمريكية لهذا الغرض.

6- متابعة العمليات السياسية المتعلقة بالانتخابات العامة في الدول العربية، والتـي تعتبرها الإدارة الأمريكية عنصراً بالغ الأهمية في التحول نحو الديمقراطية، مثـل الانتخابات البلدية السعودية بمراحلها الثلاث، أو التشريعات التـي أقرهـا مجلـس النواب الكويتي بشأن إعطاء حق التصويت والترشيح للمرأة الكويتية، أو الانتخابات التشريعية اللبنانية والانتخابات البرلمانية المصرية(التقرير الاسـتراتيجي العربـي، 2007، ص18) .

هذه المجموعة من العناصر تمثل أداة هامة في السياسة الأمريكية الرامية إلى دفع عملية التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط، سعياً وراء تشجيع ظهور تيارات ديمقراطية أكثر تماسكاً في المجتمعات العربية، باعتبار ذلك هـدفاً محوريـاً فـي السياسة الخارجية الأمريكية. إلا أن هذه الجهود الأمريكية تواجه رفضاً واسعاً مـن جانب حكومات الدول المعنية وقطاعات واسعة من الرأي العام في الدول العربيـة المستهدفة، باعتبار ذلك تدخلاً في الشئون الداخلية لتلك الـدول. إلا أن إدارة بـوش أظهرت إصراراً ملموساً على مواصلة تنفيذ هذه السياسة مع بداية دورتها الرئاسية الثانية(التقرير الاستراتيجي العربي، 2007، ص19) .

لابد لنا من طرح التساؤل التالي حول أي مشروع سياسي أو مصطلح أمريكي كمشروع أو مبادرة الشرق الأوسط الكبير وهل تتمسك الولايـات المتحـدة بهـذا المشروع لو تعارض مع مصالحها؟. وربما يكون الجواب هو النفي وعليه فـإن أي مشروع أمريكي قابل للتعديل حتى الانقلاب عليه لو هو تعـارض مـع المـصلحة الأمريكية(النابلسي، 2007).

4.2 الحـرب ضـد الإرهـــاب

لقد عاش العالم تحت كابوس الخوف من إمكانية اندلاع حرب نووية لا تبقي ولا تذر، في ظل إستراتيجية توازن الرعب بين الشرق والغرب، أيام الحرب الباردة حيث كانت إستراتيجية توازن الرعب تعتمد في تنفيذها على هيئات مختصة تتكفـل بإقامة حوار دائم بين الفرقاء وبضبط آليات للمراقبة المتبادلة عن طريـق سياسـة مدروسة بشكل يجعل احتمال المفاجأة بالهجوم من أحد الطرفين قريب من الـصفر. أما إستراتيجية الحرب على الإرهاب فيقع ضبطها وتنفيذها من جانب الدول وحدها، باعتبار أن العدو غير مرئي وغير معلوم، ولذلك تبقى المفاجأة بالهجوم هي الـسمة الأساسية لهذا العدو، وفي أحسن الحالات يقوم العدو لأسباب تكتيكية بالتحذير مـن الهجوم الوشيك ولكن بدون تحديد المكان والزمان بطبيعة الحال، وهذا مـا يجعـل الناس في كل أنحاء العالم في حالة قلق وتوجس دائمين، ويحرمهم مـن الإحـساس بالراحة والاطمئنان، ومن الواضح أن الإدارة الأمريكية تسعى إلى الحفاظ على هذا الشعور بالخوف لدى كل الناس، حتى يتسنى لها تبريـر مواصـلة الحـرب علـى الإرهاب والسيطرة على العالم(السميعي، 2004).

تبني الإستراتيجية الأمريكية مواقفها على أساس وجود عدو على الدوام، وفـي حالة عدم وجود عدو حقيقي غالباً ما تلجأ الولايات المتحدة الأمريكية لـصنع عـدو لها، ولو كان وهمياً أو بصورة مفتعلة، كما حصل في حرب أمريكـا مـع فيتنـام الشمالية في آب عام 1964.وفي أثناء فترة مرحلة الحرب البـاردة مـع الاتحـاد السوفيتي سابقاً ظهرت مشكلة الثورة الإسلامية في إيران عام 1979وذهبت الأحداث إلى إسقاط شرطي الخليج في الشرق الأوسط (شاه إيران). فانبرت الولايات المتحدة لمحاربة هذه الثورة،وقامت بدعم العراق، لضرب الجمهورية الإسلامية الإيرانيـة، ونشبت حرب ضروس بين البلدين الجارين، خرجت إيران منها بنتيجة واحدة هي، أنها ترفض التبعية لأمريكا. وخرج العراق بنتيجة واحدة أيضاً، أنه ضـعيف أمـام تحديات الأمريكان.

لقد وقع النظام العراقي في المصيدة الأمريكية، التي أعدت له بدهاء عظيم، فلم يحقق النظام الحاكم آنذاك، سوى الخسائر البشرية والمادية الفادحة. ومعلوم للجميع،

خلو هذه الحرب من أية مكاسب عسكرية، على أرض الميدان لكلا الطرفين. وفي نفس الوقت كان هناك صراع آخر في الشرق يختبئ تحت أدخنة الحرب العراقية الإيرانية، التي غطت عليه إعلامياً، وهو الصراع بين الأمريكيين وبين الشيوعيين الذين دخلوا أفغانستان عام1978(جواد ، 2007).

شكلت أحداث 11 سبتمبر عام 2001 وتداعياتها تبريرا ملائما لممارسات بعض الأنظمة التي نمت خارج نطاق الشرعية الدولية تحت مبرر الحرب على الإرهاب، الأمر الذي شهدت معه الساحة الدولية مؤخرا انتهاكات موسعة للقانون الدولي و مبادئ حقوق الإنسان. ولهذا فان محددات الدعوة التي تبنتها بعض الأنظمة في شن الحرب على الإرهاب و بخاصة الولايات المتحدة الأمريكية لا تخلو، في حقيقة الأمر، من دوافع تحقيق مصالح لتلك الدول أكثر منه تخوفا دوليا على السلم والأمن الدوليين، مما شكلا فجوة كبيرة بين سيادة منطق القوة واحترام سيادة القانون الدولي و الشرعية الدولية. تلك الإشكالية كرسها القرار رقم 1373 الصادر عن الأمم المتحدة عقب أحداث 11 سبتمبر ، فالصياغة الضبابية لتلك القرار جعلته من الخطورة بمكان مقارنة بباقي القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة بخصوص قضايا أخرى، خاصة وان اللهجة الآمرة التي تبناها بما فيها من إلزامية دولية واقعة على عاتق الدول الأعضاء في مكافحة الإرهاب دون تحديد معايير واضحة للإرهاب تجعل من إمكانية توقيع التدابير الواردة بالفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة من تطبيق الحصار والمقاطعة الجزئية والكلية وصولا إلى استخدام الوسائل العسكرية أمرا واردا في حال عدم تنفيذ القرار(مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية، 2007).

وفي هذا الإطار جعل صناع السياسة الأمريكيون محاربة الإرهاب الدولي عنصراً هاماً وحاضراً في السياسة الخارجية الأمريكية، في الوقت الذي عملوا فيه مع المجموعة الدولية لوضع خطط وسياسات محاربة الإرهابيين وإيقاف تمويلهم والضغط على الحكومات واعتراض واعتقال ومقاضاة الفارين من العدالة. كما أصبحت علاقات الولايات المتحدة الخارجية بعد أحداث 11 سبتمبر مبنية على مبدأ الصديق أو العدو المبني بدوره على قبول دول العالم أو رفضها للمفهوم الأمريكي

للإرهاب وطرق محاربته. وعندما أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الحرب على الإرهاب حدد بذلك مصير الأمريكيين في الداخل بما يتحقق له من إنجـازات فـي حربه على الإرهاب و هي معركة لن تنتهي في غضون سنة أو سنتين بل وضع لها حدا يتجاوز حتى السنوات الثماني التي سيمضيها في البيت الأبيض بعـد انتخابـه لولاية رئاسية ثانية وهذا ما حدث فعلا. وربما يدخل موقف الرئيس بـوش بـشأن الحرب ضد الإرهاب في صدام الحضارات حتى و إن نفي ذلـك باسـتمرار. إن اللحظات التي تمر الآن في منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية على قدر مـن الأهمية ، فالحرب الحتمية ضد الإرهاب والتي تتمحور حول الخطر الإسلامي كمـا يدعون، كان على الأمريكيين أن يفتشوا عن الأسباب و الدوافع التـي قـادت إلـى أحداث 11أيلول /سبتمبر، والعمل على إزالتها، ومعالجة الأسباب التي دعت منفذي الهجمات القيام بها بمراجعة السياسات المتبعة في التعامل مع القضايا العربية،لا من خلال عملية حشد الجيوش التي قامت بها حكومـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة و إتباعها الدوليون، وهي اكبر عملية حشد قامت بها حكومـة الولايـات المتحـدة الأمريكية بعد حرب الخليج الثانية، و أكبر عملية حشد عسكري دولي منذ الحـرب الفيتنامية، و واضح من عملية الحشد الضخمة المعززة بكـل أنـواع الأسـلحة، أن الولايات المتحدة مستعدة لخوض حرب طويلـة لا لتوجيه ضربة عـسكرية ضـد المنظمات الإرهابية ذات البعد العالمي و الدول الراعية لها فقط، و إنما ضد الـدول المعادية للولايات المتحدة أيضاً و التي تنتج وتملك أسلحة دمـار شـامل(المـديني، 2003).

إن الحرب على الإرهاب هي حرب على مفهوم مجرد، وليست حرباً كغيرهـا من الحروب التقليدية يكون فيها حدود وجيوش ودول، فالحرب على الإرهاب تتميز باعتمادٍ أكبر على القوات الخاصة والمخـابرات والقـوى الأمنيـة والدبلوماسـية والإعلامية. ولكن ما هو هذا المفهوم المجرد وما هو الإرهاب الذي تخاض ضـده حرب بلا حدود وما هو الإرهاب ومن هم الإرهابيون بالضبط؟ فالغرب بات يربط الإرهاب بنظرية صراع الحضارات معتبراً أن من أهـداف الإرهـابيين زعزعـة استقرار البنى الاجتماعية والاقتصادية والدستورية لبلد ما فقـضية الحـرب علـى

الإرهاب تقدم للغربيين كقضية دفاع عن الحضارة والقيم الديمقراطية للمجتمعات الغربية وبالمقابل يسهل في مثل هذا السياق وسم كل المقاومين والمدافعين عن القضايا المشروعة بالإرهاب(المديني، 2003).

ففي صراع الحضارات يصبح الإرهاب نتاجاً حتمياً لاختلاف القيم الحضارية للمجتمعات، لا لوجود ظالم ومظلوم ومستكبر ومستضعف وغازٍ ومدافع. وبالرغم من وجود اثنتي عشرة اتفاقية دولية حول الإرهاب، مثل الاتفاقية الأوروبية لمكافحة الإرهاب لعام 1977، والاتفاقية الدولية لمكافحة التفجيرات الإرهابية لعام 1998، والاتفاقية الدولية لمكافحة تمويل الإرهاب، وغيرها، وبالرغم من عدد من قرارات الأمم المتحدة التي تدين الإرهاب بغض النظر عن مسبباته وذرائعه وهويته، فإن المجتمع الدولي لم يتوصل بعد إلى تعريف محدد لمفهوم الإرهاب الذي تدور حوله كل تلك الاتفاقيات والقرارات والحروب. ويعود ذلك طبعاً، لرفض الولايات المتحدة الأمريكية بالتحديد، ومعها دول مثل إسرائيل، الاعتراف بحق المقاومة لأصحاب القضايا المشروعة، ولإصرار الطرف الأمريكي الإسرائيلي على تصنيف المقاومة، خاصة المقاومة ضده، كأهم شكل من أشكال الإرهاب (علوش، 2007).

وبنظرة موضوعية إلى التقرير السنوي الذي أصدرته وزارة الخارجية الأمريكية عن الإرهاب الدولي لعام 2007، نلاحظ أن ثمة مسارين متزامنين للسياسة الأمريكية في التعامل مع هذا المصطلح، الأول: هو تجاهل الأسباب العامة لارتفاع وتيرة فقدان الأمن الدولي والإقليمي والمحلي، والثاني: هو الهروب إلى الأمام وارتكاب مزيد من الأخطاء الجسيمة ذاتها التي ارتكبت من قبل في محاربة ما أصبح يمثل وبحق التهديد الحديث للنظام الدولي. في هذه الأثناء، يستمر العالم بانتظار أن تعيد الولايات المتحدة النظر في دورها كقائد عالمي في فترة ما بعد الحرب الباردة.

وباختصار، يقول التقرير إن الأعمال الإرهابية التي وقعت خلال عام 2006 والتي ارتفعت بمعدل 25 بالمائة من الأعمال المماثلة عام 2005، استأثرت منطقتا الشرق الأوسط وجنوب آسيا بالعدد الأكبر من الهجمات الإرهابية؛ حيث جاءتا في المرتبتين الأولى والثانية على التوالي. وأسفرت هذه الهجمات الإرهابية التي بلغت

خلال العام 2006 أكثر من أربعة عشر ألف هجوم إرهابي حول العالم عن سـقوط عشرين ألف ضحية، استحوذ العراق على النصيب الأكبـ ـر منها؛ حيث بلغ عـدد الضحايا الذين سقطوا فيه حوالي ثلثي العدد الإجمالي من الضحايا، ووقع فيه نصف عدد الهجمات التي شهدها العالم. وطبقاً للتقرير، فقد وجد الإرهاب الـدولي لنفـسه معاقل جديدة في العراق والصومال وعلى الحدود الأفغانية-الباكستانية، كما بقيـت سوريا وإيران وكوبا والسودان وكوريا الشمالية تشكل لائحة الدول المسماة داعمـة للإرهاب، فيما استمرت منظمة القاعدة بالتربع على رأس قائمة المنظمات الإرهابية التي شملت أيضاً حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلـسطينية وحركـة طالبـان الأفغانية في أعلى مراتبها. وكالعادة، وكما يقول التقرير، استمرت الولايات المتحدة بقيادة الحرب الدولية على الإرهاب وحققت كثيراً من النجاح، لكنها لا تزال بحاجـة للمزيد من الوقت لتحقيق نجاحات أخرى(حرب، 2007).

إن الحرب على الإرهاب هو سيناريو محكم الحبكة ماديـاً وعقائـدياً وتقنيـاً، وقضيته ستبقى متجددة على مر الأيام وتوالي الأحداث. وتنظيم القاعدة وسيلة فاعلة لإنتاج أعداء حسب الرغبة الأمريكية، وعلى ضوء معاييرها أيضاً، وأكثر من ذلـك أصبحت القاعدة اليوم حسب وجهـة النظر الأمريكية، تنتج مجموعـات إرهابيـة تحمل أسماء جديدة تتحرك بخفاء، وتظهر بأي بقعة مطلوب الظهور فيها، وتنظـيم فتح الإسلام، نسخة جديدة من الإرهاب المتنقل في أرجاء العالم المختلفة، وتفجيرات مطار كلاسكو في لندن، تموز 2007 الذي قاده سبعة أطباء وخبير متفجرات واحد، هو نسخة متطورة من جيل الإرهاب السابق (جواد، 2007).

إلا انه لا يمكن معالجة مسألة الإرهاب دون الوقوف على الأسباب الحقيقة لتلك القضية أو معالجتها بمعزل عن قضية احترام الحقوق والحريات و قضايا الإصلاح الحقيقي وترسيخ مبادئ الديمقراطية والعدالـة الاجتماعيـة و الاكتفـاء بتكـريس الخيارات الأمنية و العسكرية التي تعد فعليا احد الأسـباب الرئيـسية وراء ازديـاد العنف، فإشكالية شرعية و مشروعية الحرب التي تشن مـؤخرا علـى الإرهـاب إشكالية أساسها قضية أخذت أبعاد ومحاور تجاوز حقيقتها حتى صـارت مبـررا و

نموذجياً مثالياً لتجاوز كافة أشكال المشروعية(مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية، 2007).

وعلى الرغم أن الجهود الأمريكية هي ردود فعل منطقية على الإرهاب، إلا أن سلوك الولايات المتحدة حول العالم وخاصة في منطقة الشرق الأوسط لا يعكس أية نية لإعادة النظر في قضية الإرهاب أو في منهج التعامل معه. فإذا كان من الضروري فهم الإرهاب من خلال علاقته بأسبابه الاجتماعية والسياسية والتي تنبع من بيئة موضوعية موجودة على الأرض أو مستحضرة من الخارج وهي الأسباب التي يجب التصدي لها لحل المشكلة الإرهابية، فإن تقارير وزارة الخارجية يتجاهل ذلك من خلال تأكيده التزام الولايات المتحدة بتعريفها للإرهاب على أنه مجرد عمل عدائي ضد مدنيين عزل بدون النظر إلى أسبابه، وبأن القوة هي الحل الأمثل له. كما ينظر التقرير إلى الإرهاب من قالب الاعتبارات السياسية بدل الارتكاز على المبادئ الأخلاقية في العلاقات بين البشر. فمثلاً، يشجب التقرير حركة حماس الفلسطينية كمنظمة إرهابية بدون تقييم الظروف الموضوعية التي يرزح تحتها الشعب الفلسطيني، وبهذا يجعل من الصعب الوصول إلى حل لأقدم نزاع في الشرق الأوسط (حرب، 2007).

5.2 الدور الأمريكي في مشاريع التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط

بعد وقوع أحداث 11 أيلول داخل العمق الأمريكي، وما تلاها من تزايد الاهتمام الدولي بهذا الموضوع اختزلت الولايات المتحدة الأمريكية الأسباب التي أدت إلى ذلك في سبب محوري، لخصته في غياب هامش الديمقراطية وحقوق الإنسان في الدول التي ينتمي إليها الضالعون المفترضون في هذه العمليات. ولذلك فقد تقدمت بالعديد من المبادرات والمشاريع باتجاه إدخال إصلاحات على النسق السياسي والاقتصادي والاجتماعي للعديد من الدول التي اعتبرتها شمولية، وبالخصوص في منطقة الشرق الأوسط ومجمل الدول العربية والإسلامية. فصناع القرار السياسي في الولايات المتحدة اقتنعوا بأن مشاعر الغضب والإحباط والتطرف إنما تتغذى من انتشار الفقر وتدني مستوى التعليم وسوء إدارة الدولة، وأن وضع حد

للتطرف و"الإرهاب" والأصولية الإسلامية على حد تعبيرهم، إنما يتطلب إصلاح أنظمة الحكم في البلدان العربية ونشر الديمقراطية وتحقيق إصلاحات اقتصادية وفتح الأسواق وجذب الاستثمارات وتغيير مناهج التعليم والثقافة، أي تحسين مستوى المعيشة والتعليم والديمقراطية (لكريني، 2006).

لقد كانت تجربة المنطقة العربية السياسية في أغلب بلدانها تبدو رد فعل أكثر منها فعل لأنها لا ترسم خطاً استراتيجياً لنموها السياسي، بسبب اصطدامها بعقلية تمرير المراحل. ويمكن أن يتحول تطورها السياسي إلى مادة لها، فإذا بها مادة عليها تفرض عليها من الخارج فكما كانت منظومة الدولة كهوية سياسية عالمية بعد الحرب العالمية الثانية هي السمة التي فرضت على المنطقة فرضاً في سياق توحيد المنتظم السياسي، فإن الديمقراطية هي الهوية السياسية العالمية التي يتم الآن فرضها في سياق توحيد الهوية السياسية في المنتظم السياسي، بعد أن توافقت أوروبا مع الأيديولوجية الديمقراطية التي حملها جورج بوش الابن مبشراً في ولايته الثانية في أول زيارة له إلى أوروبا بعد الحرب على العراق، ليعلن من بروكسل أنه توافق مع أوروبا على نشر الديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي.

وبغض النظر عن نوعية الديمقراطية في مجتمعات متخلفة ، فإن هذا السياق التوحيدي الموجه بالذات إلى المجتمعات العربية بالدرجة الأولى، يشكل استعادةً للحظة فرض الدولة على العرب بدءاً من مرحلة الإستقلالات العربية إلى السبعينيات من القرن العشرين حيث غدت الجماعات الخارجة عن الدولة منبوذة وخارجة عن السياق العام وصولاً إلى اعتبار أن حركات التحرر العالمية إرهاباً في مطلع القرن الواحد والعشرين، في مخالفة واضحة لشرعية الأمم المتحدة والقانون الدولي،ذلك أن المقاومة قد باتت مفهوماً من الماضي أي من ميراث الحرب العالمية الثانية (شعيبي، 2007) تشكل الديمقراطية الأميركية الأداة التي تتسلل منها سياسة المصالح الأميركية إلى منطقة الشرق الأوسط تحت شعارات الحقوق وتوريط القطاعات الاجتماعية التي يعطيها مجتمعنا نصيباً أقل من نصيب مثيلاتها في أميركا، حتى باتت هذه الحقوق مدخلاً لإدانة مجتمعنا على صعيد هو أنثروبولوجي أكثر منه سياسي أو اجتماعي . فعندما تناقش حقوق الطفل والمرأة والإنسان في

المجتمع العربي نجدها تحرض هذه الجهات على قوانين بلادها وتدعوها إلى معارضة السلطة بحجة تعديل هذه القوانين. لكن المسألة سرعان ما تنتقل إلى نقاش يطال صميم القيم التي قامت عليها هذه القوانين، وتصل منظمات الحقوق إلى ذروتها عندما يصل المطالبون المحليون بالحقوق إلى الصدام مع سلطاتهم ومع نظام القيم السائد في مجتمعهم، إذ يقوم هذا الصدام بمهمة مزدوجة فيضعف السلطة ويطرح الجدل حول القيم الثابتة في نظام قيم المجتمع.

حتى تتحول المسألة من نقاش حول حق المرأة في قيادة السيارة إلى حقوق المرأة في الإسلام، وقد يكون هذا المثال خير دليل على طروحات الديمقراطية الأميركية وتوظيفها كوسيلة لاختراق بعض شرائح المجتمع (النابلسي، 2003).

ويلاحظ أن الديمقراطية على الطريقة الأمريكية تعمل تحت ذريعة منع الإسلاميين المتطرفين على حد قولهم من الوصول إلى الحكم وحث الأنظمة السياسية القائمة على اتباع بعض الإصلاحات الضرورية لتحسين الأوضاع الداخلية لتلك الدول (لكريني، 2006).

خلال أكثر من خمسين عاماً الفاصل بين الحرب العالمية الثانية ولحظة سقوط البرجين في 11 سبتمبر، عاش العرب على مجموعة من المفاهيم التي كرست رد فعلهم وتحول سياستهم إلى مفعول به على أنقاض سياسات الآخرين. ففي تلك الفترة نبعت أفكار تم التأثر بها من تجارب إيديولوجية عالمية كالاشتراكية والشيوعية والفوضوية والوجودية والمادية وكان الواضح أن سمة رد الفعل هي السمة الأكثر أهمية وبروزاً. اما اليوم فتنتشر في المنطقة العربية رياح الديمقراطية الإيديولوجية التي ستنصاع لها الدول أما بالرضا الدبلوماسي أو بالقبول المذعن أو بالقوة، فلا يبدو أن هناك مجالاً للحديث عن الفروق الواقعية بين الدول وخصوصياتها، مادامت الولايات المتحدة الأمريكية قد توافقت مع أوروبا على ذلك في لحظة غياب روسي وانشغال صيني، وهما الدولتان المتهمتان بأنهما ليستا ابنتين شرعيتين لعصر الشعوب التي تختار زعمائها، مما اضطر الرئيس الروسي السابق بوتين للقول أمام نظيره الأمريكي بأن لروسيا ديمقراطيتها منغماً على نفس الوتر الذي استخدمه الرئيس الأمريكي في أول خطاب له بعد التجديد لحكمه ولاية ثانية،

ليرفع عن إدارته جزئياً تهمة الانتقال إلى الديمقراطية بالدول والشعوب بالقوة ونقل التجربة الأمريكية دون الأخذ بعين الاعتبار شروطها المجتمعية(شعيبي، 2007).

على صعيد النقاش حول السياسة الدولية في أعقاب الحرب على العراق، بات هناك حديث واسع حول إعادة صنع أو إعادة تشكيل أو إعادة تنظيم الشرق الأوسط. هذه هي الحال على رغم مصاعب الولايات المتحدة وحلفائها في العراق.

وهذا النقاش يشمل المطالبة بدمقرطة الشرق الأوسط الكبير وهو ضمن اجندتي دوائر المحافظين الجدد والليبراليين الأميركيين، ويراها الفريق الأول أميركية فيمـا يعتبرها الثاني أطلسية. وعلى رغم هذا يبدو ان هناك مفارقة مهمة بـين الإصـرار على هذا النقاش والحاجة إلى فرض النظام في المنطقة، والنقص في الأفكار حـول الأدوات المناسبة أو الأساليب المقاربات الجديدة والعملية من اجل المضي قدماً فـي تنفيذ مثل هذه الأهداف(النابلسي، 2005).

قد لاقت مشاريع الديمقراطية التي روجت لها الولايـات المتحـدة دوليـا مجموعة من الردود، تراوحت بين الاستحسان من جهة، والرفض والاستبعاد مـن جهة ثانية. ولم تكتف الولايات المتحدة الأمريكية بالترويج سلميا لهذه الإصـلاحات، بل استعملت في سبيل ذلك وسائل إكراهية تنوعـت بـين الـضغوطات الـسياسية والاقتصادية المختلفة والعمل العسكري المباشر. في حين نجد هناك إهمالا وقصورا كبيرين وواضحين من قبل هذه الولايات المتحدة الأمريكية إزاء تعزيز الديموقراطية على مستوى المؤسسات الدولية، بل إن أزمة هـذه المؤسـسات علـى اختلافهـا، وبخاصة على مستوى الأمم المتحدة يعود بالأسـاس إلـى ممارسـاتها المنحرفـة واستغلالها وتجاوزها للمشروعية الدولية بالشكل الـذي يكـرس ديكتاتوريـة هـذه المؤسسات أحياناً وعـدم جدواها أحياناً أخرى. لقـد طالبـت الولايـات المتحـدة بضرورة إحداث إصلاحات داخل الأنظمة العربية باتجاه مزيد من الديمقراطية، في سبيل الحد من انتشار التطرف والإرهاب، وطرحت مجموعة من المشاريع في هذا الشأن، رغم علمها المسبق بالعداء الذي تكنه الشعوب العربية لسياساتها.

غير أن الإصلاح الذي تنشده الولايات المتحدة لا يأخذ في جانب مهـم منـه الحاجيات الحقيقة للشعوب المعنية وخصوصياتها، فهو إصلاح وإن كان يشكل بمثابة

إقرار بأزمة الديمقراطية في الوطن العربي، فانه يستهدف بالدرجة الأولى مكافحة الإرهاب واستئصال التطرف بالمفهوم الأمريكي، إصلاح يركز على تعديل وتحديث المناهج التعليمية الدينية والتربوية والتعليمية العربية الأخرى التي أثبتت إفلاسها (لكريني، 2006).

إن الإصلاح الديمقراطي الحقيقي في الوطن العربي، لا ينبغي أن يرتبط بمشاريع إصلاحية أمريكية، بقدر ما يجب أن يرتكز على الإنصات إلى نبض الشارع العربي وتحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بهذه البلدان، بعيداً عن كل إملاءات خارجية. ومع ذلك، فإن أهم ما حملته هذه المشاريع الأمريكية هو أنها فتحت ملف التغيير في العالم العربي، وكشفت للعالم أزمة الديمقراطية التي تغرق فيها مختلف الأقطار العربية، ووضعت مجمل الأنظمة العربية في حرج دولي وداخلي كبير، ولذلك ينبغي استثمارها بشكل محسوب وذكي للضغط على الدول العربية من خلال حثها على فتح المجال أمام مختلف الفاعلين داخلياً، لبلورة تصورات ومشاريع إصلاحية ديموقراطية حقيقية، قبل أن تفرض عليها هذه الإصلاحات بشكل ما من الخارج(لكريني، 2006).

الفصـل الثالث

أسباب دخول سوريا الاستهداف الأمريكي

1.3 المقدمـة:

تعتبر سوريا غير مرغوب فيها في منطقة الشرق الأوسط أمريكيا كقـوة غيـر خاضعة لنظام الولايات المتحدة، على الرغم من تحالفاتها السابقة مع ولايـة بـوش الأب في حربه ضد العراق في حرب الخليج الثانية، إلا أن تطور العلاقات العربية والتعنت السوري في عملية السلام بالمفهوم الأمريكي جعلها في مواجهة المخطـط الأمريكي.

وهناك عدة أسباب لدخول سوريا في الاستهداف الأمريكي عبر السنوات الماضـية أهمها:

1- الموقف السوري من اتفاقات السلام العربية – الإسرائيلية والمعارض لعجلة التطبيع العربي الإسرائيلي.
2- الدعم السوري للمقاومة اللبنانية وحزب الله اللبناني وما حققه الحـزب مـن انجازات جسدت بالانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان.
3- فتح الأبواب السورية لفصائل المقاومة الفلسطينية، خصوصا بعد رغبة قـادة حماس الخروج من الأردن في عام 1999.
4- اتهام سوريا بإعاقة أي تقدم على المسار اللبناني في عملية السلام، لما تتمتع به من سيطرة على مراكز القوى اللبنانية قبل مقتل الحريري.
5- التعاون الاستراتيجي مع إيران والذي يقلق إسرائيل، وما لإيران من عـداء منذ الثورة مع الولايات المتحدة.

وفي السنوات القليلة الماضية ظهرت عوامل جديدة أسـرعت مـن اسـتهداف الولايات المتحدة للنظام السوري وهي:

العامل الأول: الاحتلال الأمريكي للعراق وعدم رضاها عن التعاطي الـسوري مع هذا الاحتلال.

العامل الثاني: رغبة اليمين الديني المتطرف والمحافظين الجدد في أمريكا في إحداث تغييرات في الشرق الأوسط تصب في خدمة المصالح الأمريكية والإسرائيلية وعدم الممانعة في استخدام وسائل أكثر قوة إذا اقتضى الأمر ذلك.

العامل الثالث: الترتيبات الأمريكية – الإسرائيلية الجديدة في القضية الفلسطينية، ومحاولة تسويق خطة الفصل الشارونية، والضغط على فصائل المقاومة وسوريا وأطراف الممانعة لاضطرارها بالموافقة على المطالب الإسرائيلية بالتنازل عن الجولان وتسوية قضية اللاجئين والقدس.

هذه العوامل أدت إلى تسريع وتيرة الاستهداف لسوريا، والتضييق عليها مع الاعتقاد الذي كان سائداً لدى الكثير من الخبراء وصناع القرار الأمريكي أن النظام السوري ضعيف ومهنك ويسهل الضغط عليه إضافة إلى عدم مقدرة الرئيس الشاب من السيطرة بما يكفي على القرار السوري(الهجمة الأمريكية على الشرق الأوسط، 2005).

2.3 الملف اللبناني والدعم السوري لحزب الله.

تميزت العلاقة بين سوريا ولبنان تاريخياً، فقد كانت تجمعهما الوحدة الجغرافية واللغوية، وبالرغم من التقسيمات الحاصلة بعد اتفاقية سايكس بيكو، إلا أن العلاقة ما زالت قائمة ومتقاربة بين الشعبين السوري واللبناني، وفي أثناء الحرب اللبنانية عام 1975 دخلت القوات السورية إلى لبنان، وكان ضمن اتفاق أمريكي وفرنسي وبموافقة إسرائيل، وذلك بهدف الحفاظ على التوازن الطائفي في لبنان.

وعلى الرغم من استقلال لبنان وسوريا منذ خمسة وستين عاماً وتكريس كيانهما المستقلين في الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية إلا انه لم تنشئ سوريا علاقات دبلوماسية مع لبنان من قبل كما هو الحال القائم بين سوريا وكل الدول العربية الأخرى. عند العودة إلى عام 1920، وهو العام الذي أصدر المفوض السامي الفرنسي، بصفته ممثلا لفرنسا المنتدبة على سوريا ولبنان، قرارا بإنشاء دولة لبنان الكبير، وعدة دول في الداخل السوري، هي دولة الشام ودولة حلب ودولة اللاذقية ودولة جبل الدروز ولواء الأسكندرون التي ستدمج بعد سنوات في الدولة

السورية التي هي اليوم الجمهورية العربية السورية ، إلا إن المسلمين في دولة لبنان الكبير رفضوا في أكثريتهم، الدولة والكيان الوطني اللبناني، عند نشوئه وذلك بسبب أن الدولة الجديدة جعلت منهم أقلية، وهم الذين كانوا جزءا من الأكثريـة المـسلمة الحاكمة في العهد العثماني، كما إن أمنيتهم ذلك الحين كانت الانضمام إلـى دولـة عربية برئاسة الأمير فيصل تضم سوريا حاليا ولبنان وفلسطين والأردن والعـراق، بالإضافة إلى رفضهم للانتداب الفرنسي أي حكم دولة أجنبية(الجسر، 2008).

لم تعترف الحركة الوطنية السورية وممثلوها في لبنان، من الزعماء الـسياسيين المسلمين بالكيان اللبناني إلا عندما بدأت المفاوضات بين الحكومة الفرنسية معها في مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي، عندما اشترطت فرنسا أن تسلّم الحركة الوطنية السورية بالكيان اللبناني، لقاء توقيع معاهدة تعترف فيها فرنسا باسـتقلال سـوريا ولبنان. ولقد قبل ممثلو الحركة الوطنية الأمر الذي أحدث تـصدعا فـي صـفوف السياسيين المسلمين الوحدويين في لبنان(الجسر، 2008).

في فترة التسعينيات من القرن المنصرم تزايدت حدة الضغوط الخارجية علـى سوريا لإنهاء وجودها العسكري في لبنان، كما تصاعدت مظاهرات الشارع اللبناني بين متضامن مع الدور السوري ورافض له، وبدت البلاد وكأنهـا علـى حافـة تصعيـد جديد يشبه في مظهره الخارجي التصعيد الذي سبق اندلاع الحرب الأهلية عام 1975.

أن الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها النظام السوري جعلت القطـاع الأكبـر مـن اللبنانيين يرفض هذا الوجود العسكري، دون أن يـرفض وجـود علاقـة متميـزة ومستقرة مع سوريا، خاصة أن بقاء القوات السورية في لبنان قد ضـرب بعـرض الحائط اتفاق الطائف الذي نص على ضرورة أن تنسحب القـوات الـسورية عـام 1991ولكنها بقيت حتى 2005، أي بعد الانسحاب الإسرائيلي بما يقـرب مـن 5 سنوات وبدا تدخلها في تفاصيل الشأن اللبناني مسار انتقاد قطاع كبير من اللبنانيين، والذي امتد ليشمل فرض التمديد للرئيس السابق لحود عن طريق تعـديل الدسـتور اللبناني بضغوط سورية كبيرة،وصار التأكيد على ضرورة تصحيح هذه العلاقة محل توافق من الغالبية العظمى من الشعب اللبناني. أن مسار الأزمة اللبنانية يمثل صورة

التدهور الذي أصاب الوضع الرسمي العربي، وأيضاً دور التدخلات الخارجية في رسم مستقبل المنطقة،حيث مثل الواقع الديمقراطي، ولو غير المكتمل، أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت المشهد اللبناني مليئا بتلك الحيوية والقدرة على التأثير في الأحداث رغم سلبيات النظام في الداخل وضغوط الخارج على السواء (الشوبكي، 2005).

إن كثرة اللاعبين على الساحة اللبنانية والمتمثلة بالعديد من الدول مثل سوريا والولايات المتحدة وفرنسا وإسرائيل وإيران عملت على تحويل الساحة اللبنانية ساحة تجاذب بينهم وهو ما يعني العودة إلى توازنات ما قبل الحرب اللبنانية حين كان لكل لاعب من هؤلاء فرقاء محليين يراهنون عليهم. وقبل انسحاب الجيش السوري من لبنان تعرض هذا الوجود إلى ضغوط متعددة الصدد ولمواقف انتقامية متعددة البواعث. أما بالنسبة للنفوذ الأميركي فهو دون شك شكل صورة ضاغطة إلا أنه مربوط بالعداء للممارسات الأميركية في العراق وفي المنطقة عموما. وبذلك تعود المعارضة اللبنانية إلى التوزيع بين هؤلاء اللاعبين الرئيسيين الخمسة حيث أعباء الوجود الأميركي في العراق تتركز على إضعاف اللاعب السوري مع تعويق الفرنسي والإيراني وتهيئة دور جديد للاعب الإسرائيلي (النابلسي، 2005).

وسياسة الإضعاف هذه تصب في الإستراتيجية الأميركية لإصابة القوى الإقليمية بالشلل، مثال ذلك تحركات قطر والبحرين والإمارات بمعزل عن السعودية، ومثلها تصعيد المعارضات اللبنانية لسورية ولو بثمن إدخال اللاعب الفرنسي إلى الساحة اللبنانية، إن عدم ثبات الساحة السياسية اللبنانية مرتبط بعدم ثبات مواقف اللاعبين الأجانب فيها.

وهذا من شأنه أن يتبعه فوضى في مواقف اللاعبين اللبنانيين إذ يبرر التدخل الأميركي تضخم طموحات حزب الله السياسية المربوطة بالأجندة الإيرانية حسب الاعتقاد الأمريكي، ويبرر التدخل الفرنسي تحولات بعض من الساسة اللبنانيين في حين يبرر التراجع السوري تحفظات بعض الجهات اللبنانية، بما يعيدنا إلى فقدان معايير تصنيف المعارضين في لبنان بما يقودنا إلى مواجهة وقائع سياسية قاسية (النابلسي، 2005).

وإذا كان من المؤكد أن هناك تفاوتا في مواقف اللبنانيين الداخلية تجاه سوريا والعالم العربي، فإن من المؤكد أيضا أن المسار الذي اتخذته العلاقات اللبنانية السورية منذ توقيع اتفاق الطائف عام 1989، يعكس حجم الخلل في طبيعة العلاقات العربية العربية ويعكس أزمة أعمق تتعلق بعجز العالم العربي عن تحويل الثوابت التاريخية والثقافية وواقع الجغرافيا والجوار إلى طاقة تترجم سياسيا بشكل صحي في علاقات اقتصادية متكافئة وتفاعل سياسي قائم على المصلحة المشتركة، وعدم هيمنة طرف على آخر، وفي احترام خصوصية كل بلد دون تعال أو استهانة. والحقيقة أن ثوابت التاريخ والجغرافيا في علاقة سوريا بلبنان تمثل حالة نموذجية في العالم العربي يفترض أن تكون نقطة انطلاق ملائمة لبناء وضع سياسي واقتصادي صحي يضمن أفضل علاقات ممكنة بين الشعبين، خاصة في ظل التربص الإسرائيلي تجاه البلدين(الشوبكي، 2005).

لقد كانت انتفاضة آذار 2005، على أثر اغتيال الرئيس رفيق الحريري ضربة موجعة لسوريا وما تبعها من أحداث كقرارات مجلس الأمن المتعلقة بلبنان، ولاسيما إنشاء المحكمة الدولية التي تعتبرها رمحا سياسياً دولياً ولبنانياً موجها ضدها، ولم تخف غضبها من الفريق السياسي اللبناني المناوئ لها بعد آذار 2005، ولم تخف دعمها للمعارضة اللبنانية التي نجحت إلى حد بعيد، في شل الدولة والمؤسسات الدستورية اللبنانية لمدة عامين تقريباً. وشهدت العلاقات السورية اللبنانية بعض الانفراج بعد انتخاب الرئيس التوافقي العماد ميشيل سليمان، وشاركت المعارضة في الحكم وخرج النظام السوري نوعاً ما عن عزلته الدولية، واتفق الرئيسان الأسد وسليمان على إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين (الجسر، 2008).

لقد كانت سياسة التدخل النشيط في نزاعات الشرق الأوسط والبحث عن مرتكزات للهيمنة الإقليمية الخارجية مثمرة لدمشق من دون شك.

فقد أمنت لها مزايا إستراتيجية عديدة، ومكنتها من حيازة أدوات سمحت لها بمتابعة الصراع من أجل استعادة حقوقها المشروعة، وحولتها إلى قوة إقليمية فعلية.

ونجم عن هذا النجاح، أو ما بدا في ذلك الوقت كذلك في إدارة الأزمة الإقليمية والنزاعات المتعددة المرتبطة بها والخروج منها بأقل خسائر ممكنة، مكاسب

إستراتيجية عظيمة، كما حصل بعد اتفاقية الطائف التي كفلت للنفوذ السوري شرعية عربية، ومن ثم دولية في لبنان، وأعطت للقيادة السورية وللنظام أيضاً رصيداً سياسياً كبيراً يستخدمه بقوة في الداخل السوري والمحيط العربي والدولي. هكذا صار لدمشق كلمة أقوى إن لم تكن الأكثر وزناً في القرارات الإقليمية العربية، وتحولت كما اعتادت أجهزة الإعلام السورية على القول، إلى ممر إجباري لجميع الدبلوماسيات العربية والدولية الراغبة في لعب دور في المشرق، سلبيا كان أم ايجابيا. وساعد هذا الرصيد الكبير على توسيع هامش مبادرة دمشق ومناورتها الإستراتيجية، وقدرتها على تصدير مشاكلها وأزماتها الداخلية، الوطنية والاقتصادية والسياسية، أو تعظيم فرص إيجاد حل لها في الخارج وعلى حساب الآخرين. وهو ما انعكس على شكل مزيد من الاستقرار والتماسك للنظام القائم وتعزيز الثقة به(غليون، 2007).

وبعد تفجيرات11 سبتمبر / أيلول 2001 وفي إطار استثمار الولايات المتحدة وإسرائيل للحرب على الإرهاب سعت إلى تطويع المنطقة وإخضاعها للهيمنة الأمريكية – الإسرائيلية، وعلى إخضاع الأطراف المعارضة لهذا النهج ومنها سوريا وحلفائها في لبنان.

غير أن مخططات الولايات المتحدة وإسرائيل تجاه لبنان اصطدمت بالأطراف المعارضة لذلك، وهي:

1- سوريا ووجودها العسكري في لبنان.
2- حزب الله اللبناني والذي يرتبط مع إيران بعلاقات خاصة أساسها وحدة المذهب.
3- الفصائل الفلسطينية المعارضة للتسوية مع إسرائيل.

حيث أن الولايات المتحدة تهدف إلى تقويض هذه الأطراف من خلال نزع سلاحها إلى:

أ- التمهيد لإيقاع لبنان ضمن المخططات الأمريكية لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل.

ب- إضعاف سوريا ومن ثم موقفها التفاوضي في إطار مطالبها باسترجاع الجولان.

لذلك اصدر مجلس الأمن القرار رقم 1551، والذي تم ترتيبه في باريس وباتفاق أمريكي – فرنسي، والذي ينص في بنوده على إخراج القوات السورية من لبنان ونزع سلاح الفصائل المسلحة في لبنان.

وترافق مع القرار حملة ضغط في نهاية عام 2004، قادها وزير خارجية إسرائيل آنذاك سلفان شالوم لإخراج القوات السورية من لبنان. وكانت الفرصة الذهبية التي تنتظرها الولايات المتحدة هي اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري في شباط 2005.

فقد قادت حملة بموازاة ضغط الشارع اللبناني لإخراج القوات السورية من لبنان، فيما أثيرت قضية سلاح المخيمات وسلاح حزب الله وتطبيق قرارات الشرعية الدولية على رأسها قرار 1551 (المركز الفلسطيني للإعلام، 2005).

تعاملت سوريا مع المطالب الأمريكية المتعددة فيما يتعلق بالملف اللبناني بأن أعلنت الانسحاب السوري الكامل من الأراضي اللبنانية لنزع فتيل الأزمة التي أشعلتها أمريكا ولتفويت الفرصة أمام الولايات المتحدة من اجل تصعيد الأزمة مع سوريا.

إضافة إلى التأكد المستمر من الإدارة السورية بأنها لن تتدخل في الشؤون اللبنانية الداخلية، وان العلاقات بينهما ستكون محكومة بما يتفق عليه الطرفان وفي مختلف المجالات عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً.

إن الانسحاب السوري من لبنان لا يعني بالضرورة أن مكانة العلاقات اللبنانية – السورية هي موضع اهتزاز أو مشروع افتراق، أن سحب الجيش لا يعني سحب المسؤوليات بل ستكون سوريا جاهزة للمساعدة في أي أمر يطلبه اللبنانيون وهو ما أكدته القيادة السورية، مما يعني أن سوريا تنطلق في علاقاتها مع لبنان بمنظور جديد يسعى بشكل جدي إلى إرساء العلاقات على صيغة أكثر عقلانية، وأكثر استناداً إلى مصالح ملموسة (العلاقات الأمريكية – السورية، موقع الملاذي الالكتروني).

أما فيما يتعلق بالدعم السوري لحزب الله فقد كان لسوريا دور كبير في نشأة حزب الله وتطوره حتى أصبح له دور فاعل على الساحة اللبنانية. ويعتبر حزب الله

من أهم دعائم سوريا خصوصاً بعد انسحابها من لبنان، وقد اشتركت سوريا وحليفتها إيران بدعم هذا الحزب ورعايته خصوصاً أبان الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنـان، وكانت إسرائيل دوماً تتهم سوريا بدعمها لحزب الله ولم ينكر الحزب أثناء الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان الدور السوري. وحزب الله انشق عن حركة أمـل فـي عام 1982، وبدأ مقاومته ضد إسرائيل في عام 1985، ومع نهاية الحرب الأهليـة في لبنان استطاع أن يتفرغ أكثر للحرب مع إسرائيل، خاصة انه لم تنزع أسلحته في الجنوب بعكس الأحزاب الأخرى.

وبينما كان حزب الله حكراً على الشيعة أثناء الحرب الأهلية، فانه فـي إطـار سعيه لكسب التأييد من جميع الأطراف اللبنانية، قام بضم الكثير من المسلمين السنة ومن المسيحيين إلى صفوفه، كما أن نشاط حزب الله لـم يقتـصر علـى مقاومـة إسرائيل، فقد قام ببناء الكثير من المستشفيات والمدارس والمؤسسات فـي جنـوب لبنان، وهذا اكسبه دعماً شعبياً قوياً في الجنوب خاصة.

ويعول النظام السوري على حزب الله بعدما سهل له الحفاظ على السلاح والدعم وفتح ممرات لوجستية مع إيران بان يكون حليفاً استراتيجياً فـي مرحلـة اشـتداد الخناق على سوريا (أمين، موقع إسلام أون لاين).

وقد سمح السوريون أثناء وجودهم في لبنان لحزب الله وللمنظمات الفلـسطينية التي تحظى برعايتها أن يحتفظوا بالبنية التحتية وخاصـة فـي المنـاطق اللبنانيـة الخاضعة لسيطرة الحكومة السورية سواء كانت هـذه البنيـة التحتيـة سياسـية أو عسكرية أو إدارية أو إعلامية.

وتـم بناء البنية التحتية العسكرية والعملياتية للحزب في جنوب لبنـان وفـي نواحي بيروت وفي وادي البقاع بمساعدة ودعم حرس الثورة الإيرانـي، كمـا ان السلطات السورية لم تشجع الجيش اللبناني على دخول مخيمات اللاجئين الفلسطينيين أو أن يفرض سلطته على القـرى الشيعية المتواجـدة في وادي البقاع (أمين، موقع إسلام أون لاين).

كما سمحت سوريا لحزب الله باستمرارية تنفيذ العمليات على الشريط الحدودي للأراضي اللبنانية المحتلة من حين لآخر انطلاقاً من المناطق اللبنانية، كمـا كـان

حزب الله يتلقى المساعدة المكثفة والإرشاد الموجه من إيران حليفة سوريا من خلال خط الإمداد الإيراني الجوي الذي يحط في دمشق ثم يتم إفراغ حمولته التي تحتـوي على العتاد والتجهيزات العسكرية الخاصة بحزب الله، ثـم يـتم نقـل المـساعدات العسكرية من دمشق إلى لبنان وعلى الأغلب بدون قيود ولا مراقبة من قبل النظـام السوري. وهذه المساعدات العسكرية الإيرانية مكنت حزب الله من توسيع ترسـانة الأسلحة التي يمتلكها والتي تتضمن صواريخ حيوية بعيدة المدى، وفي هذا الـسياق لابد من الإشارة إلى أن سوريا تنظر إلى قدرات الرد الإستراتيجية التـي يمتلكهـا حزب الله في الأراضي اللبنانية على أنه جزء من سياسة خلق تـوازن اسـتراتيجي ضد إسرائيل بالإضافة إلى أنه جزء من أسلوب المنع والإعاقة الخاصة بسوريا.

إن الهدف من هذه الإعاقة وفقاً لوجهة نظر سوريا هو الاستمرار فـي التمتـع بالحصانة والإعفاء من توجيه التهم، وفي نفس الوقت تقوم بتفعيل سـلاح المقاومـة ضد إسرائيل (هيرليتش، 2008).

بدأ نجم حزب الله يسطع بفضل نجاحاته المتراكمـة فـي مقاومـة الاحـتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، وقدم في ذلك نموذجا للمقاومة بات مبعـث إعجـاب لأي فصيل مقاوم، خاصة بعد أن تكللت جهوده بإجبار الجانب الإسرائيلي على الانسحاب تخلصا من مستنقع الجنوب الذي استنزفه طيلة عقدين كاملين. العلاقات المتينة بـين حزب الله وإيران لها أسباب كثيرة، أهما وحدة المذهب الديني، والمصلحة الواحـدة في إضعاف عدوهما المشترك إسرائيل. ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لسوريا التي لا يزال جزء مهم من أراضيها محتلا منذ أكثر من ثلاثين عاما حتى الآن. فبعد أن تقاطعت مصالحها مع مصالح إيران في إضعاف إسرائيل وجدت في حزب الله يـدا قوية لتحقيق ذلك. إن استمر الدعم الإيراني والسوري لحزب الله يـستفز إسـرائيل والولايات المتحدة.

إلى أن جاءت أحداث سبتمبر/ أيلول ثم الاحتلال الأميركـي للعـراق فاتخـذت علاقة البلدين بهذا الفصيل المقاوم منحى آخر (العاطي، 2004).

فالانسحاب السوري من لبنان بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيـق الحريري من المعادلات الداخلية والإقليمية لحزب الله، فبعد أن كانت سوريا تـؤمن

الغطاء السياسي الرسمي اللبناني لعمليات حزب الله في الجنـوب، بـات الحـزب مضطراً لتوفير هذا الغطاء السياسي بنفسه، ولذلك قرر الحزب خوض الانتخابـات النيابية بقوة والمشاركة بالحكومة التي تبنت في برنامجها أهدافا تبرر وجود الحزب عسكرياً، مثـل إطـلاق الأسـرى اللبنانيين من الـسجون الإسـرائيلية وتحريـر مزارع شبعا. لكن تزايد السجال الداخلي بين الحزب وقوى سياسية لبنانية بالإضافة إلى تفاقـم الأوضـاع الإقليميـة نتيجـة الأزمـة فـي العـراق وبرنامج إيـران النـووي دفع بالحزب لإعادة حساباته بحيث تأتي عملياتـه العـسكرية بطريقـ ـة تخـدم حليفـه الإقليمي من دون الإضرار بوضعه الداخلي في لبنان، وكان التحالف مع التيار الوطني الحر ومشاركته في الحوار الوطني جزءا من الإستراتيجية الجديدة للحزب (قهوجي، 2006).

أمام اعتراف أمريكا بحجم القوة السياسية التي يلعبها حزب الله في لبنان وقدرته على تشكيل عائق أمامها يقف في وجه أهدافها في المنطقة،أعادت الولايات المتحدة ترتيب أولوياتها في المنطقة بالشكل الذي ينسجم والأوضاع الجديدة، فبعد أن كـان حزب الله يأتي أولا أصبحت سوريا في المقام الأول ، وانطلاقاً من ذلك تراجعـت واشنطن عن مطالبتها بنزع أسلحته خوفاً من وقوف الشيعة ضدها في وقت تعـاني فيه من مشاكل متعددة في العراق، وتحولت إلى دعم الجهود التي تقوم بهـا الأمـم المتحدة وفرنسا من اجل انخراط الحزب في الحياة السياسية اللبنانية.

سعت أمريكا في المرحلة الأولى من مطالبها من سوريا فيما يتعلق بحـزب الله إلى:

1- أن تعمل سوريا مع السلطات اللبنانية على تفكيك بنيـة حـزب الله التحتيـة العسكرية وتحويله إلى حزب سياسي.
2- أن تضغط سوريا على الحزب لعدم مهاجمته إسرائيل، والامتناع عن تسليمه أسلحة وحثه على إبعاد صواريخه عن الحدود والسماح للحكومـة اللبنانيـة بنشر جيشها في الجنوب.
3- عدم تقديم أي دعم مادي أو معنوي للحزب، ووقف الإمدادات التي تأتي عبر الأراضي السورية.

4- امتناع سوريا عن استخدام الحزب كيد لها في المنطقة.
5- منع التنسيق بين سياسة الحزب وسياسة سوريا إقليمياً.

تعاملت الإدارة السورية مع ملف حزب الله على اعتبار انه من اخطر الملفات المطروحة أمريكيا، لا سيما مطالبها بنقل أو تقليص دور حزب الله في لبنان، فبعد انسحاب القوات السورية لن يكون باستطاعة الجيش اللبناني التعامل مع حالة عدم الاستقرار بعد الانسحاب، الأمر الذي يتيح للإدارة الأمريكية إرسال قوات متعددة الجنسية إلى لبنان.

كذلك رأت القيادة السورية أن حزب الله هو الهدف الحقيقي للإدارة في الولايات المتحدة وليس الوجود السوري وهو ما يفسر التغاضي الأمريكي عن سوريا لفترة طويلة .

3.3 السياسة السورية تجاه حركة المقاومة الإسلامية (حماس)

اهتم النظام السوري بالقضية الفلسطينية واستطاع استقطاب المنظمات الفلسطينية، وخطب ود بعضها، والسيطرة على الأخر، ومن أهم تحالفاته:بعض القيادات التي كانت تابعة الى حركة فتح مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة، وحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

من منظور الحكومة السورية فإنه لا بد من استخدام سلاح المقاومة لتمكين النظام السوري من تعزيز سلسلة من المواضيع الهامة المتعلقة بميادين السياسات المحلية والخارجية والتي تجلّت بضمان استمرارية النظام وثباته محلياً، وممارسة الضغط على خصوم سوريا في العالم العربي، وتعزيز النظام السوري في لبنان، ومعاقبة الدول الغربية وإحراز مكاسب سياسية من هذه الدول، بالإضافة إلى ممارسة الضغط على إسرائيل بغية تعميق أهداف سوريا في الصراع العربي الإسرائيلي. وكان دعم سوريا لحزب الله في لبنان ولحركة المقاومة الإسلامية حماس قد مكنها من أن تصبح طرفاً لا غنى عنه في عملية السلام وما تبعها من مؤتمر مدريد.

ونتج عن ذلك الشروع بمفاوضات سلام مع إسرائيل برعايـة الأمـم المتحـدة (هيرليتش، 2008).

ومن بين ثمان وعشرين "منظمة إرهابية أجنبية" ظهرت على آخر التقارير التي تصدر كل عامين والتي أعدتها وزارة الخارجية الأمريكية والذي يحدد المنظمـات التي تشكل تهديداً مباشراً للأمن القومي في الولايات المتحدة، فقد جاءت سوريا من بين الدول التي توفر مستويات مختلفة لرعاية ما لا يقل عن سبع منظمات إرهابيـة ودعمها على حد تعبير التقرير. وهذا العدد يشكل نسبة 25% من مجموع المنظمات التي وردت في القائمة، بالإضافة إلى أن سوريا توفر الدعم والرعايـة لمنظمـات إرهابية أخرى على حد قول التقـرير لم يتم ذكرها فـي قائمـة وزارة الخارجيـة الأمريكية (هيرليتش، 2008).

ومن بين هذه المنظمات السبع التي وردت في قائمة وزارة الخارجية الأمريكية في الخامس من تشرين أول 2007، والتي تتلقى دعماً ورعايةً واضـحة مـن النظام السـوري هي كالتالي:

1- حركة المقاومة الإسلامية "حماس"

2- حزب الله

3- حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية

4- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، القيادة العامة- حزب "أحمد جبريل".

5- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حزب "جورج حبش"

6- جبهة التحرير الفلسطينية

إن الاحتفاظ داخل الحركة الفلسطينية بمنظمات حليفة لسوريا، سواء أكـان ذلك لأسباب إيديولوجية، كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية ، أو مرتبطة بدمشق ومعتمدة عليها في بقائها، كالجبهة الشعبية القيـادة العامـة لأحمـد جبريل، قد أعطى للسلطة السورية هامش مناورة كبير تجاه الـسياسة الفلـسطينية والدبلوماسية العالمية، مكنها من التدخل لضمان مصالحها، وقطـع الطريـق علـى احتمال أن تحاول الدول الكبرى وبعض الدول العربية الضغط على منظمة التحرير لدفعها إلى القبول باتفاق منفرد مع تل أبيب على حساب سوريا، يترك دمشق وحيدة

أمام إسرائيل، ويكرس من ثم احتلال الجولان وضمه نهائيا. وبالرغم من أن دمشق لم تفقد قدرتها على التأثير على السياسة الفلـسطينية، سـواء عبـر تحالفهـا مـع المعارضة السياسية أو من خلال احتفاظها بالسيطرة على قـوى فلـسطينية داخـل مخيمات اللاجئين اللبنانية والسورية، إلا أن الضربة التي تلقتها من جراء ذلك كانت قوية بما فيه الكفاية حتى تجعل العداء مستحكما بين سوريا ومنظمة التحرير حتـى زمن طويل، وهو الأمر الذي لا يزال قائما في تبني دمشق منظمـات المعارضـة الفلسطينية كحركة حماس.، ولم تنجح محاولة تطبيع العلاقات السورية الفلـسطينية بعد ذلك أبدا، بالرغم من تخلي تل أبيب عن التزاماتها تجاه الفلسطينيين ووفاة الأسد الأب ودخول مشروع الدولة الفلسطينية المستند على اتفاقات أوسـلو فـي طريـق مسدود (غليون، 2007).

4.3 التعاون الاستراتيجي السوري والتحالف مع إيران.

نشأ التحالف السوري الإيراني منذ نهاية سبعينيات القرن الفائت وبالتحديد منـذ عام 1979 بعد انتصار الثورة الإيرانية، بالرغم من أن الاهتمام السوري بـإيران والاهتمام الإيراني بسوريا يرجع إلى ما قبل هذا التاريخ، أي إلى ما قبـل سـقوط الشاه. منذ ذلك التاريخ كان يجمع سوريا بإيران علاقات حميمة وروابط اجتماعيـة وثقافية، هذا فضلاً عن الاهتمامات والمصالح التي تجمع سوريا بإيران في لبنـان والعراق. وخلال حكم الشاه لإيران كانت أنظمة الحكم العربية في مـصر وسـوريا والعراق ومنطقة الخليج قلقة وتعتبر إيران تحت حكم الشاه ليست سوى عنصر فـي مخطط استراتيجي غربي يهدف إلى احتواء وزعزعة القومية العربية، وبالتالي تهديد وحدة مفردات النظام الإقليمي العربي، إذ ان الطموحات العربيـة والنـزوع نحـو الوحدة العربية أقلق إيران بقدر ما أقلق أنظمة الحكم العربيـة النـزوع الفارسـي والقومية الفارسية المنبعثة في ظل عداء تاريخي طويل بين الفرس والعرب، هـذا بالإضافة إلى التحالف الإيراني الأمريكي (البطنيجي، 2004).

وبعد التقهقر والتراجع النسبي للنزعة القومية العربية وخصوصا بعد وفاة عبـد الناصر وتعزز سلطة النظامين البعثيين السوري والعراقي، والعداء بين العراق وبين

سوريا فتح الباب أمام تعزيز التحالف السوري الإيراني وتحول العـداء مـن قبـل سوريا لإيران إلى تحالف سياسي بينهما بهدف إحداث توازن بين القـوة الـسورية مقابل القوة العراقية من خلال دور إيران في تقييد حركة النظام العراقي، وكثقـل موازن ضد أطراف عربية، أضاف هذا متغيراً إلى الحوافـز الـسورية لإعـادة النظر بموقفها نحو إيران وتعزيز علاقة البلدين، وبالتالي إقامة تحـالف سياسـي بينهما، هذا التحالف قد تعزز بفعل متغيرات جديدة فـي المنطقـة أهمهـا الثـورة الإيـرانية وانسحاب مصر من الصراع والمواجهة مع إسرائيل عبر توقيع السادات اتفاق كامب ديفيد (البطنيجي، 2004).

ومن بين سائر الدول العربية انفردت سوريا بعلاقة حيوية واستراتيجية مع إيران منذ انتصار الثورة الإيرانية عام 1979 ، وخلال الحرب العراقية الإيرانية وقفـت سوريا موقف الحياد وعملت على الموازنة بين مصالحها الإستراتيجية مـع إيـران وعلاقاتها العربية المساندة للعراق في حربه مع إيران، يرى المراقبون الـسياسيون أن لا غنى للبلدين عن العلاقات الطيبة فيما بينهما نظراً لتقاطع المصلحة في لبنـان والصراع مع إسرائيل والنظرة تجاه العراق وتجاه تركيا (فودة، 2000).

في لبنان،و في هذه الأثناء، وجدت سوريا بإيران القوة الفاعلة في المنطقة التـي يمكن لسوريا، عبر التحالف معها، تحقيق التوازن الإقليمي الذي اختل بعد كامـب ديفيد. بغية تعويض سوريا عن عزلتها، ليس ذلك فحسب بل إن الخلل في موازين القوى الذي بدأ يتحول لغير صالح سوريا مما أحدث قلقـا لـسوريا مـن العزلـة الإقليمية جراء ما شعرت به من خطورة الصفقات الثنائية التي تجري بين العـرب وإسرائيل مما يشكل تهديداً لنظامها السياسي، كان ذلك متغيراً أساسياً ودافعـاً قويـاً لسياسة سوريا الخارجية، وهو ما شكل هاجساً قوياً بسبب سياسات أميركا وإسرائيل التي تهدف إلى الضغط على سوريا بعد رفضها الخوض في اتفاق سلام والتطبيـع مع إسرائيل قبل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للجولان، وما صاحب ذلك من انهيارات في النظام العربي والاصطفافات والمحاور العربية المتشكلة لغيـر صـالح النظـام العربي ككل(فودة، 2000).

إذ إن رغبـة سوريا في تقوية روابطها مع إيران تأتي ضمن إعـادة تـشكيل المشهد الاستراتيجي لمصلحتها. حقق هذا التحالف لسوريا معونات اقتصادية وتأمين المساعدات المادية، وتعويضاً استراتيجياً بعد انسحاب العديد من الدول العربية مـن المواجهة مـع إسرائيل بشكلٍ عام، وانسحـاب مصـر بعد اتفاقية كامـب ديفيـد بشكلٍ خاص.

ليس هذا فحسب بل مثل التحالف بين البلدين ثقلاً سياسياً وعسكرياً لسوريا فـي مقابل قوة العراق في ظل حالة العداء بين النظامين البعثيين وفي ظل انهيار النظـام العربي وحالة العجز والشلل التي تكتنف عمله(البطنيجي، 2004).

ساهمت ورقة حزب الله، و هو الحزب الذي يمثل ذراع إيران في هذه المنطقة الملتهبة بإنشاء دور أساسي لها، و عند تولي أحمدي نجاد رئاسة إيران في منتصف عام 2005، زاره حسن نصر الله و اجتمع به ويقال إن للرئيس الإيرانـي الجديـد علاقات واسعة ومتينة ببعض مسئولي حزب الله اللبناني وقادته مما يعـزز علاقـة الحزب بطهران ويسهل حصوله على مزيد من الدعم منها والتعاون معها، وحـسب المصادر الصحفيـة التي ذكرت أن حزب الله تسلّم في أغـسطس 2004 ثمـاني طائـرات استطـلاع بـدون طيّار من نوع "مهاجـر" التي تنتجهـا إيران ووفقـاً لتقارير أخرى ، فإن إيران قامت بتزويد حزب الله بعشرات مـن الـصواريخ مـن طراز "الفجر" 5و6، والتي يبلغ مداها 75 كيلومتراً و 125 كيلومتراً على التـوالي، مما يجعلها تصل إلى جميع مناطق شمال إسرائيل . وفي منتصف عام 2004 كمـا أشارت تقارير أخرى في إسرائيل إلى أن إيران زودت حزب الله بصواريخ أكثـر تطوراً من طراز" الفجر" التي يبلغ مداها 225 كيلومتراً، ويستطيع بالتالي الوصول إلى ضواحي تل أبيب ،ووفقا لذلك فإن حزب الله، وبمساعدة من إيران، يـستطيع إزعاج إسرائيل من خلال فتح الجبهة الشمالية للدولة العبرية وهذا سـيؤدي إلـى خلق قلاقل عديدة للمصالح الأمريكية في المنطقة. إسرائيل ووفقاً لمصادرها ترى أن منظومة صواريخ حزب الله لا ينبغي التعامل معها على أنها منظومـة حـزب الله وحده، بل هي منظومة حزب الله سوريا إيران (وليد، 2006).

يعتقد المراقبين والمسؤولين السوريين إن التحالف مع طهران ضمن، ولا يـزال يضمن، تصاعد قوة حزب الله كورقة للضغط على إسرائيل وإجبارها علـى إعـادة الجولان إلى سوريا، وينطبق الأمر نفسه على الـدعم الـسوري الـسابق للحركـة الانفصالية الكردية بقيادة عبد الله أوجلان في تركيا.

فقد كان الرئيس الراحل حافظ الأسد يعتقد أنه سوف يتمكن عـن طريـق هـذا التحالف من إجبار أنقرة على الاعتراف بحصة سوريا الطبيعية من ميـاه الأنهـار المشتركة، التي توجد منابعها في تركيا. أما التحـالف مـع حركـات المعارضـة الفلسطينية، مهما كان اتجاهها السياسي والعقائدي، علمانياً أم إسلامياً، فالهدف منـه قطع الطريق على أي تسوية منفردة يمكن للحركة الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير ورئيسهـا محمود عباس، الأقـرب في تحالفاته إلى مصر والمملكـة الـسعودية، تعقدها مع إسرائيل قبل أن يتم التوصل إلى تسوية سورية إسرائيلية تعيد الجـولان المحتل (غليون، 2007).

وبالرغم من الضغوط التي تثيرها الولايات المتحدة الأميركيـة علـى سـوريا وإيران، فإن الملامح الإستراتيجية للعلاقة بين هذين البلدين ظلت كما هي محافظـة على ثوابتها واستمراريتها منذ اندلاع الثورة الإسلامية قبل 24 عاماً رغم ما قد يبدو على سطح العلاقات الثنائية بينهما من بعض الإشكاليات، فهناك أمور ثلاثة شـكلت ملامح العلاقات الإيرانية السورية خلال العقدين الماضيين وهما الموقف من العراق والقضية الفلسطينية ودعم حزب الله.

وفي الوقت الذي كانت فيه معظم الدول العربية، وبـالأخص الخليجيـة منهـا، تساعد نظام حكم الرئيس العراقي الراحل صدام حسين في حربه ضد إيران خوفـاً من ثورتها الإسلامية وتمشياً مع التوجهات الأميركية وقفت سوريا بقيادة حافظ الأسد موقفا مغايراً، فقد كان لدمشق حساباتها سواء في إطار صـراع جنـاحي حـزب البعث، أو في إطار التنافس على الأدوار الإقليمية المميزة فـي المنطقـة (غليـون، 2007).

لكن في كل الأحوال كانت طهران تنظر إلى دمشق على أنهـا حليـف يمكـن الاستفادة منه عسكريا في حربها ضد العراق خلال عقد الثمانينيـات مـن القـرن

الماضي، وفي تسهيل وصول مساعداتها إلى حزب الله في لبنان بعد ذلك في عقد التسعينيات، ومن هنا توثقت العلاقة بين البلدين. لا يمكن النظر إلى الضغوط الدبلوماسية التي تقودها الولايات المتحدة الأميركية ضد سوريا وإيران بعيدا عن سياق القضية الفلسطينية وموقف الدولتين من مشاريع التسوية التي تسوقها الإدارات الأميركية في هذا الجانب، حيث كان أمام الولايات المتحدة وإسرائيل عقبات ونتوءات مؤثرة أمام تمهيد التربة السياسية العربية لمثل هذه المشاريع، وكان أهم هذه العقبات تلك الأنظمة التي لا تزال ترفع شعارات القومية العربية كسوريا والعراق سابقا وليبيا، أو الشعارات الإسلامية كما هو الحال بالنسبة للنظام الإيراني (العاطي، 2004).

إن سوريا وإيران وبتأثير دوافعهم حول معاداة إسرائيل والعراق والهموم الإستراتيجية والاختلال في النظام العربي والهجوم الشرس من قبل النظام الدولي على منطقة الشرق الأوسط، مما أشعر كلا البلدين بأنهما مستهدفتان وهذا ما دفعهما للبحث عن وسائل مناسبة لتحقيق أهدافهما. ومن هنا فان سوريا وإيران سوف تجدان منفعة مشتركة في تنمية العلاقات بين البلدين (البطنيجي، 2004).

5.3 سوريا وعملية السلام مع إسرائيل

أن أكثر الجوانب إثارة لقلق السياسة السورية تجاه سياسة الولايات المتحدة في ظل إدارة الرئيس بوش كان رفضها وامتناعها عن المشاركة في المحادثات السورية – الإسرائيلية، بالرغم من قيام الرئيس السوري بشار الأسد بالتعبير وبشكل متكرر عن رغبته في إعادة بدء العملية.

وقد اعتبر النظام السوري ذلك على انه محاولة أمريكية – إسرائيلية تهدف إلى إغلاق ملف الصراع العربي – الإسرائيلي من دون حله.

أما الإدارة الأمريكية فقد كانت تنظر إلى الموضوع من وجهة نظر مختلفة، حيث كان المسؤولون مقتنعين أن سوريا كانت مهتمة في إعادة إتباع النهج الذي مارسه وأتقنه الرئيس السابق حافظ الأسد في تسعينيات القرن الماضي وهو المشاركة في المفاوضات من اجل تنفيس الضغط الدولي والحفاظ على الدور

الإقليمي المركزي لسوريا، وضمان علاقة جيدة مع الولايات المتحدة من دون أن تكون هناك نية حقيقية في الوصول إلى تسوية قد تؤدي إلى أخطار على قبضة النظام على السلطة أو تؤدي إلى حرمانه من ورقته الايدولوجية الأساسية وتوتر علاقاته مع الحلفاء الإقليميين، كما سيواجه مطالبات شديدة بالانفتاح السياسي والإصلاح الاقتصادي.

وفي ظل الظروف القائمة شعرت الإدارة الأمريكية أن الرئيس بشار الأسد كان يسعى فقط إلى استرضاء المجتمع الدولي وإنهاء عزلة بلاده وإيجاد طريقة لإعادة تأكيد دوره في لبنان.

ورغم أن الإدارة الأمريكية أنكرت علناً أنها تعرقل المحادثات السورية – الإسرائيلية، فان المسؤولين الأمريكيين لم يخفوا معارضتهم في السر.

وعندما أعلنت الولايات المتحدة عن عقد مؤتمر انابوليس الذي عقد في تشرين الثاني / نوفمبر 2007، لدفع المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية، كان في نيتها الأولية استثناء دمشق غير أن الإدارة غيرت رأيها بجهود من حكومات عربية وأوروبية وإسرائيلية أيضا، لان الجميع أحس أن سوريا يمكن أن تتسبب بضرر اكبر بكثير من الخارج، من خلال تحدي شرعية القمة التي أثارت الكثير من الشك في الشارع العربي، وقد أوضحت الولايات المتحدة أن التركيز سيبقى منصباً بشكل مباشر على المسار الفلسطيني، وسيذكر الجولان بالحد الأدنى فقط (تقرير مجموعة الأزمات الدولية، 2009).

تتأثر العلاقات السورية- اللبنانية- الإسرائيلية بأحداث هامة وقعت في السنوات الأخيرة وهي الانسحاب الإسرائيلي من طرف واحد من جنوب لبنان والانتفاضة الفلسطينية الثانية، ونتائج أحداث 11 أيلول ولا سيما الحرب في العراق ،على مستوى العلاقات بين إسرائيل وسوريا ولبنان، كانت نتائج الانسحاب من طرف واحد من جنوب لبنان في أساسها إيجابية لإسرائيل. فقد حرم الانسحاب حزب الله من الشرعية الداخلية والخارجية للعمل ضد إسرائيل كما حرمه من ذريعة المقاومة ضد احتلال أجنبي. والشعب اللبناني الذي تمتع بالهدوء والاستقرار والازدهار الاقتصادي النسبي بعد سنوات من الحرب الأهلية والتواجد المتواصل للجيش

الإسرائيلي في جنوب لبنان، لا يؤيد استمرار المقاومة ضد إسرائيل، والأسرة الدولية ترى في خط الحدود الحالي بإسرائيل ولبنان خط حدود شرعي لا يبرر نزاعا عسكرياً ووضع هذا التطور سوريا وحزب الله في وضع صعب، فقد فقدت سوريا الرافعة الوحيدة التي أتاحت لها الضغط على إسرائيل لإجراء مفاوضات تؤدي من ناحية سورية إلى استعادة هضبة الجولان إلى سيادتها (تقرير استراتيجي، 2004).

أحداث الحادي عشر من أيلول وضعت مرة أخرى سوريا وحزب الله في مكان صعب، مما أوجد تهديداً استراتيجياً لها فقد بحثت سوريا عن السبل لمصالحة الولايات المتحدة، عندها أبدت دمشق رغبتها في استئناف المفاوضات السلمية مع إسرائيل، وقد ألمح بواسطة السفير السوري في الولايات المتحدة بأن بلاده مستعدة للموافقة على شرط أن تستأنف المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها في لقاء الرئيس الراحل حافظ الأسد مع الرئيس كلينتون في جنيف في العام 2000، إلا انه لا توجد رغبة حقيقية من قبل الطرف الإسرائيلي في استئناف المفاوضات مع سوريا (تقرير استراتيجي، 2004).

أدى إخفاق مفاوضات السلام السورية الإسرائيلية في جنيف عام 2000، إلى دفع تل أبيب إلى اتخاذ قرارها بالانسحاب العسكري من جنوب لبنان المحتل من دون تفاهم سياسي، وبقدر ما أضعف زوال الاحتلال قضية الاستمرار في المقاومة، فانه أحدث إرباكا في الإستراتيجية السورية التي وجدت نفسها فجأة أمام تحدي الافتقار إلى أوراق للضغط على إسرائيل، وهو ما يعني فقدان أي أمل في فتح مفاوضات جدية حول الجولان ، وهذا ما سعت القيادة السورية إلى الالتفاف عليه بإثارة قضية مزارع شبعا.

إلا أنها لم تنجح في جعل النزاع الجديد بديلاً لجبهة المقاومة السابقة، وجاءت حرب أيلول 2006 لتفرض على حزب الله، بمساعدة المنظومة الدولية، الانكفاء إلى الداخل ووقف هجماته على شمال إسرائيل، بالرغم من الأداء الاستثنائي لهذا الحزب، وتكبد قوات الاحتلال الإسرائيلي هزيمة حقيقية في الحرب (غليون، 2007).

تحت ضغط المزاعم بامتلاكها برنامجا نوويا تبحث سوريا عقد اتفاق سلام مـع إسرائيل يمكن أن يؤدي إلى تحول في علاقاتها مع إيران والجماعـات المناهـضة للولايات المتحدة مثل حزب الله اللبناني وحركة المقاومـة الإسـلامية الفلـسطينية (حماس).

فقد أكدت كل من سوريا وإسرائيل إجراء محادثات غير مباشرة بوساطة تركيـا بعد ثمانية أشهر فقط من شن الطائرات الإسرائيلية غارة على هـدف فـي شـرق سوريا، الذي قالت واشنطن عنه انه مفاعل نووي يجري إنـشاؤه بخبـرة كوريـة شمالية. حيث ستساعد المحادثات سوريا أيضا على تجنب الضغوط التي تمـارس عليها بسبب دورها في لبنان، وقد يثني إحياء مسار السلام مع إسرائيل –كما تأمـل القيادة السورية_ الولايات المتحدة عن الضغط من أجل إنشاء محكمة دولية لمحاكمة المشتبه في ضلوعهم في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري عام 2005.

ولعبت السياسـة الداخلية الإسرائيلية دوراً في انهيـار محادثـات عـام 2000 حين وصـل المفاوضـون الإسرائيليون والسوريـون إلى طريق مـسدود بـشأن حجم الانسحاب الإسرائيلي المقترح من مرتفعات الجولان التي احتلت خلال حـرب عام 1967(جاسم، 2008).

وبقيت مفاوضات السلام السورية الإسرائيلية تراوح مكانها منذ عام 2000،إلى ان تم استئنافها عبر الوساطة التركية في شهر أيار /2008،وقد حـصلت سـوريا خلال هذه المحادثات على التزام بانسحـاب إسرائيـل إلـى حـدود الرابـع مـن حزيران 1967.

وقد أكدت إسرائيل على شروطها لإبرام السلام مع سـوريا بـضرورة ابتعـاد دمشق عن إيران ووقف دعمها للنشطاء الفلسطينيين واللبنانيين،وبالرغم من موقـف الإدارة الأمريكية للرئيس بوش المعارض لاستئناف المفاوضات علـى اعتبـار أن استئناف المفاوضات سيكون بمثابة حبل نجاة لسوريا التـي تعـاني مـن ضـائقة الإجراءات العقابية الأمريكية بسبب النشاط السوري لدعم قـوى الإرهـاب حـسب وجهة النظر الأمريكية، فقد حققت المفاوضات تقدما ملموساً أسفرت عـن صـياغة

مسودة اتفاق سلام بين البلدين.لكن المفاوضات توقفت بالرغم من الجهـود التركيـة بسبب استقالة اولمـرت رئـيس الـوزراء الإسـرائيلي مـن منـصبه كـرئيس للوزراء،والحرب الإسرائيلية على غزة.

الفصــل الرابع

تطور العلاقات السورية الأمريكية خلال الفترة

ما بين عامي 1991 – 2008

1.4 العلاقات السورية الأمريكية خلال الفترة ما بين 1991 - 1993

شكلت سوريا، وما زالت تشكل، مصدر توتر للإدارة الأمريكية بسبب الادعـاء الأمريكي الذي يحمل سوريا مسؤولية دعم حزب الله، وحركة المقاومة الإسـلامية حماس، وعدم الدخول في سلام مع إسرائيل، وإقامة علاقات وثيقـة مـع طهـران بالإضافة إلى التدخل في لبنان.

وبرغم الخلافات والتوترات والتي شهدتها العلاقات الأمريكية- الـسورية فـي كثير من الأحيان، إلا أن العلاقات بين البلدين شهدت بعض جوانب التطور خـلال فترة التسعينيات من القرن العشرين، وذلك ناجم بشكل رئيسي عـن التحـول فـي النظرة الإستراتيجية لكلا الطرفين.

فمن الجانب السوري دفع انهيار الاتحاد السوفيتي بسوريا للقيام بإعادة تموضـع سريع، بسبب حاجة سوريا إلى التعويض عن فقدان حليفها السوفيتي، ومن جانبهـا أحست الولايات المتحدة بوجود فرصة لحل الصراع العربي- الإسرائيلي، وبالقيمة المتأتية عن القيام بذلك.

وفي هذا الصدد توالت سلسلة من الخطوات المهمة، فشاركت سوريا في تحالف بقيادة الولايات المتحدة في حرب عام 1991 ضد العراق، وقبلت واشنطن بالوجود العسكري السوري في لبنان، وبعد فترة وجيزة من ذلك أقنعت الولايـات المتحـدة سوريا بالمشاركة في مؤتمر السلام في مدريد في تشرين الأول من العـام 1991، الذي جمع المسئولين السوريين والاسرائيلين إلى نفس الطاولة. وفي السنوات التالية انخرطت إسرائيل وسوريا في مفاوضات برعاية الولايات المتحدة تخللها زيـارات متكررة إلى دمشق من قبل مسئولين أميركيين رفيعي المستوى (الحوار مع سوريا؟ العوائق والفرص أمام الولايات المتحدة).

وبالرغم من كل ذلك إلا أن الإدارة الأمريكية ما زالت تتشدد في التمسك بعملية انتهاج سياسات العزل ضد سوريا وإيران وحلفائهما في المنطقة.

لكن هذا الموقف لم يعد صالحا لان الوقائع الميدانية الجارية قد تخطته وفقد قيمته الاستباقية، ومن ابرز الوقائع التي تخطت الموقف الأمريكي نجد:

أ- الوساطة التركية في المحادثات السورية- الإسرائيلية غير المباشرة.

ب- انعقاد اجتماع الدوحة بين الفرقاء اللبنانيين.

ج- اضطرار الإسرائيليين للتفاوض مع حزب الله حول الأسرى (الحوار مع سوريا؟ العوائق والفرص أمام الولايات المتحدة).

لقد أدت تجربة عزل سوريا انخفاض آفاق التعاون مع سوريا بسبب ارتفاع سقف المطالب والشروط الأمريكية وعدم رغبة الإدارة الأمريكية في المساومة، والتداخل بين النوايا الأمريكية إزاء سوريا، فالإدارة الأمريكية تتحدث عن استهداف النظام السوري أحياناً وفي أحيان أخرى تتحدث عن تغيير سلوك هذا النظام، وهو أمر يؤكد أن بوصلة الإدارة الأمريكية ظلت فاقدة الاتجاه إزاء سوريا، بالإضافة إلى استخدام دبلوماسية القسر والإرغام لابد أن يكون مصحوباً بالتنسيق مع القوى الدولية الأخرى وهو ما عجزت إدارة بوش عن تحقيقه خلال تطبيقها لدبلوماسية عزل سوريا.

كما شكلت العقوبات الاقتصادية من طرف واحد معادلة من الصعب أن يكون لها تأثير كبير على سوريا وربما تؤدي إلى نتائج عكسية تضر أمريكا نفسها طالما أن الأطراف الدولية الأخرى أصبحت تنظر بالكثير من الشكوك إزاء مصداقية القرارات الأمريكية (ما هو جديد العلاقات الإستراتيجية الأمريكية- السورية،مقال منشورعلى موقع الجمل للدراسات والترجمة).

2.4 العلاقات السورية الأمريكية خلال الفترة ما بين 1993 – 2001

لقد أظهرت الأشهر الأولى من فترة حكم الرئيس بشار الأسد بأنها كانت واعدة ومشجعة، ففي خطاب القسم دعا الرئيس السوري لمواجهة المشاكل التي تعاني منها سوريا، وتحدث عن الحاجة الماسة للمعارضة البناءة، وعن الحداثة والإصلاح، وقام

بإغلاق سجن المزة الذي يرمز إلى قسوة النظام وبطشه، وتحـدثت لجنـة حقـوق الإنسان عن أن السجون السورية في عام 1993 ضمت مـا يقـارب مـن 4000 سجين سياسي، وقد هبط هذا الرقم خلال السنوات الأولى من حكم بشار الأسد إلـى حوالي 300- 1000 سجين سياسي من بين الأسماء المعروفة أو تلك التـي تـم الإبلاغ عنها (Landis&Pace,2007).

بدأت الحياة الفكرية في سوريا تعطي بعض إشارات عودتها إلى الحياة، وبدأت تتشكل في سوريا لجان حقوق الإنسان، ومنتـديات النقـاش الفكـري والـسياسي، وأصدر ناشطو (ربيع دمشق)، إعلاناً وقعه أكثر من ألف ناشط في مجال الحقـوق المدنية في شهر كانون الثاني/ يناير 2001، للمطالبة بإصلاح سياسي شامل، وبعد أسابيع من هذا الإعلان، أعلن الناشط والمعارض السوري رياض سيف، عن إنشاء حركة السلم الاجتماعي والسياسي، وقد كشفت هذه الحركات والنشاطات أنها أكبـر من أن يتحملها النظام السوري، وشعر المتشددون في النظام السوري أن الانتقادات قد تجاوزت الحـدود وأصبحت خـارج نطـاق السيطرة، مما دفعها لـشن حملـة على القوى المعارضة بما سمي (شتاء دمشق)، مدعية أن هذه الحركات والنشاطات قد تؤدي في نهاية الأمر إلى حرب أهلية.

مـع نهاية الصيف كان ثمانيـة من قادة وناشطي الحقوق المدنية فـي سـوريا قد أودعوا السجـن، كما أغلقت كافة المنتديات الاجتماعية والسياسيـة، بالرغم من الفترة القصيـرة التي عاشتها التجربة التي أطلق عليهـا اسم ربيع دمشق، إلا أنهـا قد سمحت ولأول مرة منذ عام 1970، بإطلاق حملـة من الانتقادات العلنيـة فـي وجه النظام، كما سمحت للقوى المعارضة باكتشاف بعضها البعض والعمـل علـى وضع أرضية مشتركة للتعاون فيما بينها (Landis&Pace,2007).

ركزت الدبلوماسية الأمريكية على مدى عقود في رسم علاقاتها مع سوريا علـى العلاقة مع الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد (1970- 2000)، ومن ثـم مـع ابنه الذي خلفه في الرئاسة بشار الأسد، والسبب في هذا يعود إلـى أن الـسياسيين الأميركيين، اعتبروا أن المعارضة السورية، إضافة إلى كونها ضعيفة، فهي معادية للأميركيين أيضاً، من هنا كان التركيز في العلاقة مع نظام الرئيس الأسد، ولم تنشأ

العلاقة بين البيت الأبيض والمعارضة السورية إلا بعد الغزو الأميركي للعراق عام 2003، وكان هدف إدارة الرئيس بوش من الاتصال بأركان المعارضة السورية الموجودين في واشنطن، التعاون مع شخصية سورية مؤيدة للسياسة الأمريكية مماثلة لشخصية المعارض العراقي أحمد الجلبي، الذي ساعد الإدارة الأمريكية على جمع الأدلة وتأمين المبررات التي أدت إلى غزو العراق. لم تكن واشنطن متحمسة أو مهتمة بالتعاون مع الإسلاميين بالرغم من أنها تعتبرهم الطرف الوحيد في المعارضة السورية الذي يستند إلى قاعدة شعبية عريضة، واعتبرت واشنطن كذلك أن المعارضة العلمانية السورية ضعيفة ولا تملك قاعدة شعبية كبيرة أو ارتباط بجمهور الشباب السوري، إضافة إلى ذلك فإن الاتصال بين أركان المعارضة والدبلوماسيين الأميركيين المتواجدين في دمشق يحمل في طياته مخاطر كبيرة خاصة بالنسبة لقادة المعارضة ويجعلهم عرضة للاتهام بالخيانة من قبل النظام.

من هنا تبدو الخريطة السياسية لواقع المعارضة السورية مبهمة وغير واضحة (كاتزمان،2005).

آمنت سوريا بضرورة إجراء بعض الإصلاحات إذا ما أريد للنظام أن يستمر في الوجود، ويعود تاريخ ذلك إلى عام 1994 عندما حاول تقليص سيطرة حزب البعث على بعض وزارات الخدمات الاجتماعية ضمن إطار تحكم الدولة الشامل في الاقتصاد، وتمكن من كبح التصرفات غير القانونية والتعسفية للعديد من أقربائه في اللاذقية، عاصمة المنطقة التي تنتمي إليها عشيرته العلوية، كما أنه أصدر شخصياً أوامر من أجل سجن الحراس الشخصيين لأحد أقربائه بسبب ما نسب إليه من مخالفات، بل إنه لم يخش من طرد أعضاء من عشيرته أو فرض إجراءات تأديبية عليهم بسبب مخالفات ارتكبوها، وذلك حتى يثبت بأن العلويين ليسوا فوق القانون. ومع ذلك، فإن إقراره بالحاجة إلى السماح بانفتاح محدود قد واجهته معارضة من قبل الحرس القديم الذين لا يزال العديد من أعضائه ثابتين على المواقف نفسها التي تم اتخاذها في عهد حافظ الأسد، ولكن بشار تمكن من كبح شكيمة أغلبية المحتجين عقب فترة الانفتاح الأولية (كاتزمان،2005).

بقيت سـوريا خـلال تلك الفتـرة علـى قائمـة الإرهـاب، كمـا اسـتمرت الـولايات المتحدة بعقوباتها، ولكـن مشاركـة دمشق فـي عمليـة الـسـلام جنبهـا الخضوع إلى ضغوط معلنة في القضايا الأخـرى التـي تدعو إلى القلـق، مثـل دعم حزب الله والجماعات الفلسطينية المقاتلـة،وهي مـسائل كانـت الإدارة الأمريكية تفترض إن حلها سيكون في إطار اتفاقية سلام، لكن سرعان ما تلاشى هذا الشعور بشكل تام وكذلك بسبب انتخاب جورج دبليو بوش رئيساً، وكـذلك بـسبب هجمات 11 أيلول/سبتمبر عام2001، والتي وضعت الحرب على الإرهاب علـى رأس أولويات الولايات المتحدة (الحوار مع سوريا؟ العوائق والفرص أمام الولايات المتحدة ص2).

3.4 العلاقات السورية الأمريكية خلال الفترة ما بين 2001 – 2003

وجدت سوريا التي ورد اسمها في قائمة الولايات المتحـدة الأمريكيـة للـدول الداعمة للإرهاب منذ عام 1979، نفسها في وضع حـرج فـي أعقـاب الغـزو الأمريكي للعراق، فالرئيس بشار الأسد يبدو أكثر ميلاً إلى تحسين علاقات بلاده مع واشنطن من والده حافظ الأسد، بيد أنه أفصح عن اعتقـاده بأن سياسـة إدارة بوش في العراق محكوم عليها بالفشل. وتتميـز السياسـة السورية بالقلق الواضح الـذي تعيشه حكومة بشار حـول إمكانية إرسـاء الديمقراطية المجـاورة في العـراق، فلقد بدا أن سوريا راضيـة عن الصعوبات التـي واجهتها القوات الأمريكيـة فـي العراق، والتي جعلت الولايات المتحدة عاجزة عن حشد القوة المادية التي تسمح لها بإمكانية التفكير في تحرك عسكري ضد سـوريا ذاتهـا. ومـع ذلـك، يبـدو أن الديمقراطية في العراق، فـي حال تحققها، قد تشجع دعاة الإصلاح داخل سـوريا (كاتزمان،2005).

وبموازاة تزايد التحديات على الجبهة الداخلية، تراجعت العلاقات بـين سـوريا والإدارة الأمريكية، ولا سيما منذ هجمات 11 أيلـول/ سـبتمبر2001، وإطاحـة الولايات المتحدة بالرئيس العراقي الراحل صدام حسين.

وقد ظهر في بادئ الأمر ان هجمات 11 أيلول/ سـبتمبر2001 قـادرة علـى تحسين صورة العلاقات الثنائية المتوترة وقد ظهرت مؤشرات عدة في الاتجاه نحو

هذا الاعتقاد، حيث قامت سوريا بتزويد الولايـات المتحـدة بمـا اعتبرتـه الإدارة الأمريكية معلومات استخبارية قيمة.

وفـي تشـريـن أول/ اكتـوبـر2001 قبلـت الولايـات المتحـدة بعضويـة سوريـا فـي مجـلس الأمـن الـدولـي رغـم القلـق الإسرائيلـي، وفـي آذار/ مـارس عـام 2002 عارضـت الإدارة الأمـريكيـة جهـود الكـونغـرس الـراميـة إلـى تمـريـر "قانـون محاسبـة سوريـا واستعـادة سيـادة لبنـان (الحـوار مـع سـوريا؟ العوائـق والفـرص أمـام الولايـات المتحـدة ص3).

وهناك أيضاً مسألة أخرى كانت سبباً من أسباب توتر العلاقات بين الولايـات المتحدة الأمريكية وسوريا تتمثل في مفاوضات السلام السورية-الإسرائيلية. فبعد أن سجلت هذه المفاوضات تقدما في عام 2000، واجهت بعض العثرات عندما رفض الرئيس السوري حافظ الأسد قبول صيغة إسرائيلية كانت ستعيد إسرائيل بموجبهـا أراض سورية استولت عليها عام 1967 خلال حـرب "الأيام الستة"، لكنهـا لـم تتعهـد بإعادة الأراضي السورية التي احتلتها كافة، وكانت سوريـا تصـر علـى الدوام بأنه يتعين على إسرائيل أن توافق على إعادة الأراضي كـافة كشرط مسبق لإجراء المفاوضات، في الوقت الذي يرفض فيه رئـيس الـوزراء الإسرائيلـي آنـذاك أرييل شارون هذا المطلب، معتبرا أنه لا ينبغي وضع شروط مـسبقة مـن أجل استئناف مفاوضات السلام (البني،2005).

إن الأطروحات الخاصة بطريقة التعاطي مع النظام السوري تدخل في جدليـة دائمة في البيت الأبيض. فالموقف الرسمـي يكون غالبـاً تعبيـراً عـن نتـاج تـرتيب الأولويات الأميركية في الشرق الأوسط في حدود اللحظـة، والتفـاعلات الثنائية إيجاباً وسلباً مع دمشق. وفي الوقت نفسه، فإن الخيارات الأخرى المختلفـة المطروحة تستمر في الدفاع عن وجهة نظرها ولا يتم إقصاؤها. ويسرب أصـحاب المواقف المتباينة داخل الإدارة الأميركية، بين حين وآخر، سـيناريوهات مختلفـة للصحف ووسائل الإعلام وهذه التسريبات يطلق عليها في الدبلوماسـية الأميركيـة

"بالونات الاختبار" التي تقود إلى تبيان ردود الفعـل علـى هـ ـذه الـسيناريوهات داخلياً وخارجياً.

ومن اللافت للنظر أن المثقفين والمحللين العرب يتعاملون مع "بالونات الاختبار" على أنها حقيقة واقعة وسيناريو متفق عليه بالفعل، بل وضعها في سياق "المؤامرة التاريخية الكبـرى" علـى العـرب ممـا يفقدهم القدرة على تحليلهـا والتعـاطي معها سلباً أو إيجاباً.

وعودة على بدء فإن التفاعل الجدلي وتوازنـات القـوى ومحـددات اللحظـة السياسية قادت إلى تحولات واضحة من الموقف الأميركي تجاه سوريا، يبرز مـن خلالها كيف تدير واشنطن علاقتها مع دمشق (البني،2005).

وعلى المدى الطويل فقد أدى تحول التركيز إلى الحرب على الإرهـاب بعـد هجمات 11 أيلول/ سبتمبر إلى وضع حد تجـاه دعم النظام الـسوري للجماعـات الإرهابية حسب رؤية الإدارة الأمريكية التي وضعـت سـ ـوريا أمـام خيـ ـار محـدد: إما أن توقف سوريا دعم هذه الجماعات، أو أنها ستـسيء علاقاتهـا مـع أمريكا وبذلك أصبـح تغيير السياسـة السوريـة نحـو حـزب الله والجماعـات المسلحة الفلسطينية شرطـا من اجل الحوار بدلاً من كونه النتيجة المتوقعـة لهـذا الحوار، وكما كان متوقعا فقد كان رد سوريا سلبياً.

وقد ظهر جليا ان هجمات 11 أيلول/ سبتمبر عمقـت الفجـوة بـين الإدارة الأمريكية وسوريا بدلا من أن تؤدي إلى مزيد من التقارب بينهما. وقد كان الموقف المتعنت الذي اتبعته إدارة الرئيس الأمريكي بوش الابن إزاء الجماعات الإسـلامية ومنها القاعدة وحماس حجر العثرة في وجه هذا التقارب.

وقـد سـاءت الأمـور مـع غـزو العـراق عام 2003، والـذي بـدا مـن وجهـة النظـر السوريـة أكثـر تهديـداً بالنظـر إلى الأسبـاب الأيديولوجيـة الكامنـة وراءه وهـي الرغبـة فـي إعـادة تشكيـل المنطقـ ـة مـن خـ ـلال تغييـر النظـام بالقـوة.

ولأول مرة منذ فترة طويلة تبادلت كل من سوريا والولايات المتحـدة ضـرب المصالح الأساسية للأخرى، فالولايات المتحدة باتت تتحـدى الوضـع القـائم فـي المنطقة، بينما ذهبت سوريا إلى إعاقة خطط الولايات المتحدة في العراق.

وقبل الغزو الأمريكي للعراق قامت سوريا بتحدي العقوبات المفروضـة علـى العراق على الرغم من الضغط الكبير من قبل أمريكا، وما ان بدأت الحـرب حتـى بدأت الحافلات المستأجرة من قبل جهات رسمية بنقل المتطوعين للقتال في العراق.

وقد ردت الولايات المتحدة بالمثل، ففي 18 حزيران/ يونيو 2003 قامت قـوة عسكرية أمريكية بالتوغل داخل الأراضي السورية مسافة 25 ميلا أثناء مطاردتهـا قافلة من السيارات متوجهة إلى سوريا حيث بررت ذلك ان القافلة تقل قادة عراقيين رفيعي المستوى هاربين إلى دمشق.

وعنـدمـا قامت إسرائيـل فـي 5تـشريـن أول/اكتـوبر2003 بـضربـة جويـة علـى معسكـر تدريب فلسطينـي مزعـوم خـ ـارج دمـشـق"وهـ ـي الأولـى من نوعهـا في 30 عامـاً وذلـك ردا علـ ـى هجـ ـوم استـشهـادي للجهـاد الإسلامـي فـي حيفـا. بـرر الرئيس بـوش ذلك علـى أسـ ـاس أن إسرائيـل" يجب عليهـا القيـام بمـا هـو ضـروري لحمايـة نفسهـا"، وفـي 11كانـون أول/ ديسمبـر وقـ ـع الـ ـرئيس قانـ ـون محـاسبـ ـة سوريـ ـا واستعـادة سيـادة لبنـان (الحـوار مـع سوريـا؟ العـوائـق والفـرص أمـام الولايـات المتحـدة ص3).

وقـع الـرئيس الأمريكـي السابـق جـورج بـوش فـي كانـون أول عـام 2003، علـى قانـون محاسبـة سوريـا واستعـادة سيـادة لبنـ ـان، وهـ ـو الأمـر التنفيـذي الـذي تحـول بموجبـه قـرار الكـونغـرس إلـى قانـ ـون ملـزم للإدارة الأمريكيـة.

وقـد أدى قانـون محاسبـة سوريـا إلـى قيـام واشنطـن بإبعـاد نفـسها عن دمشق، وفي الـوقت نفسـه إلـى إربـاك الأطـراف الأوروبيـة الغـ ـربية على النحو الذي ترتب عليـه قيـام بعـض الأطـ ـراف الأوروبيـ ـة بتقلـيص علاقاتهـا مع دمشـق.

يحـدد قانـون محاسبـة سوريـا واستعـادة سيـادة لبنـان الخطـوات التـي علـى سوريـا القيـام بهـا وإلا فإنهـا ستواجـه بالعقوبـات، وهـذه الخطـوات هـي إيقـاف كافـة أشكـال الدعـم للمنظمـات الإرهابيـة، وان تسحـب كافـة قواتهـا وأجهـزتهـا الأمنيـة من لبنـان، وان تتـوقف عـن تطـويـر أسلحـة الدمـار الـشامـل، وان تـوقـف كـل الـدعـم والتسهيـلات للأنشطـة الإرهابيـة داخـل العـراق. وعلـى الإدارة ان تخـتار اثنتيـن مـن العقوبـات الستـة المحتمـلة فـي حـال لـم تتجـاوب سوريـا مـع هـذه الطلبـات.

وهـذه العقـوبات هـي:

1- حظر تصدير السلع الأمريكية باستثناء الغذاء والدواء إلى سوريا، أو اسـتثمار رؤوس أموال أمريكية أو عمل الشركات الأمريكية فيها.

2- تجميد الأرصدة والممتلكات التابعة للحكومة السورية في الولايات المتحدة.

3- تخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي بين الولايات المتحدة وسوريا، وتحديد مجال سفر الدبلوماسيين السوريين في واشنطن أو نيويورك بخمسة وعشرين ميلا من مقار أعمالهم.

4- منع الطائرات السورية من الهبوط في الأراضي الأمريكية أو التحليق فوقها.

5- إرغام سوريا على إنهاء ما وصف بـ"احتلالها للبنان" وسحب قواتها التي يقدر قوامها بنحو 20 ألف جندي من الأراضي اللبنانية.

6- كما يدعو القانون الحكومتين السورية واللبنانية للدخول في محادثات ثنائية غير مشروطة مع إسرائيل من اجل الوصول إلى سلام شامل ودائم.

وفي 11أيار/مايو2004 أعلن البيت الأبيض بموجب قانون محاسـبة سـوريا واستعادة سيادة لبنان حظرا على كل الصادرات الأمريكية لسوريا باستثناء الغـذاء والدواء كما منع هبوط وتحليق الطائرات السورية في الولايات المتحدة

4.4 العلاقات السورية الأمريكية بعد احتلال العراق وحتى وقتنا الحاضر

في عام 2004 صدر عن سوريا العديد من الإشارات التي تظهر فيها نوعـا من المرونة وإمكانية استئناف المفاوضات من دون أي شروط مسبقة. ويرى بعض المسؤولين في إدارة بوش أن التصريحات السورية هذه بمنزلة مؤشر إلى أن النظام يشعر بالضغط الذي تسبب فيه قرار الولايات المتحدة الإطاحة بـالرئيس الراحـل صدام حسين عسكرياً في العراق.

بالرغم من أن وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كونداليزا رايس قد أكدت أكثـر من مرة بأن واشنطن لا تسعى لتغيير النظام السوري، بل تسعى لدفعه إلى تعـديل سياساته وسلوكه، إلا أن دمشق تبقى متشككة من طبيعة النوايا الأمريكية التي تهدف إلى تغيير النظام في سوريا (بلال،2008).

وقد بدأت العلاقات السورية- الأمريكية تسوء أكثر فأكثر علـى أثـر الغـزو الأميركي للعراق، والذي عارضته سوريا بقوة، وبعد أن اتهمت الولايات المتحـدة سوريا بدعم الإرهاب في العراق وفي أماكن أخرى، قامت واشنطن بفرض عدد من العقوبات على سوريا في شهر أيار/ مايو 2004. بعد فترة وجيزة، قامت سـوريا بالضغط على البرلمان اللبناني لتجاوز الدستور والتمديد للرئيس إميل لحود، وهـو الموالي للنظام السوري، رئيساً للجمهورية لمدة ثلاث سنوات إضافية، في رد فعل على هذا التصرف تبنت الولايات المتحدة وحليفتها فرنسا قراراً صدر عن مجلـس الأمن الدولي تحت رقم 1559، يدعو لانسحاب القوات الأجنبية كافـة مـن لبنـان (الجيش السوري)، والى سحب سلاح الميليشيات، في إشارة إلى سلاح (حـزب الله الشيعي الموالي لسوريا)، والدعوة إلى انتخاب رئيس جديد للجمهوريـة مـن دون التعرض لضغوط خارجية.

كانت واشنطن في هذا تسعى لإخراج لبنان من دائرة الهيمنة السورية، كجـزء من سياستها الهادفة إلى تشكيل الشرق الأوسط الكبير، وسوريا في الوقت عينه كانت عازمة على عدم السماح للبنان بالخروج من تحت سقف هيمنتها (بلال،2008).

وفيما ظهر على انه تحول كبير في سياستها، عارضت الولايات المتحدة وبشدة ما كانت تتمتع به سوريا من وجود عسكري ونفوذ سياسي في لبنان، وبذلك راحت تتحدى إحدى المصالح الحيوية بالنسبة إلى النظام السوري.

وقد تصاعد التوتر بشكل اكبر بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق الحريري في شباط/2005، والذي اتُهمت سوريا بالقيام به من قبل الولايات المتحدة وغيرها. بعد أن ضمنت الولايات المتحدة انسحاب القوات السورية من لبنان ألقت بثقلها وراء تحالف 14 آذار/مارس المعادي لسوريا، كما دعمت وبقوة التحقيق الذي تجريه الأمم المتحدة في حادثة اغتيال الحريري، ولاحقا أيدت بشكل كامل حرب إسرائيل على حزب الله عام 2006، وخلال هذه الفترة حدثت في لبنان سلسلة من الاغتيالات السياسية اشتبه الكثيرون بان سوريا تقف وراءها.

ونتيجة لتصاعد المواجهة انقطعت العلاقات بين الطرفين وقامت الولايات المتحدة بسحب سفيرتها في شباط /فبراير2005، كما قطعت اتصالاتها مع الممثل السوري في واشنطن، وأصدرت قائمة من الطلبات على سوريا تنفيذها وبدون تحديد أي حوافز أو مكافآت متوقعة.

كان الرد السوري كما هو متعارف عليه في مثل هذه المواقف بحيث أعطت وعودا غير مقنعة وتنازلات القصد منها تنفيس الضغط، مع التزامها الدائم بمجموعة من المبادئ الصارمة.

وبالنسبة إلى الولايات المتحدة فقد تقلصت الخيارات السياسية والدبلوماسية إلى خيار واحد: وهو الضغط من خلال العزلة والعقوبات، بينما أصبح الهدف بالنسبة إلى سوريا هو المقاومة والانتظار حتى مرور العاصفة وتحسن الأوضاع.

هذا المنظور الأميركي تعامل معه اللبنانيون بطريقتين. واحدة يعبر عنها المعارضون للنفوذ السوري المتألمون من التجارب مع الأمريكيين، فلا يصدقون أن الولايات المتحدة تسير حتى النهاية في سعيها إلى ما يسميه متشددوها "تحرير لبنان"، ويخشون تخليها عن كل قرارات الكونجرس والوعود في مقابل مساومة مع دمشق لو قدمت "تنازلات" في العراق وفي موضوع المنظمات الفلسطينية المقيمة لديها والمتهمة أمريكياً بالإرهاب، لتأخذ بدلاً منها تجديداً لتفويضها في لبنان تحت

شعار حماية الأمن ومنع الأصوليين من الانتشار وحماية السلم الأهلي من طوائـف يدها على الزناد ومستعدة للتقاتل لو أسندت لها القيادة (البني،2005).

أما الطريقة الثانية فهي طريقة اللبنانيين الموالين لدمشق وهم خـصوصاً أهـل السلطة وما يلوذ بها من قوى سياسية وأحزاب، وهؤلاء يملؤهم الحبور لقناعتهم بأن سوريا قوة إقليمية قادرة في النهاية على عقد اتفاقات "تحت الطاولة" مع الأمـريكيين تبقي نفوذها في لبنان، وهؤلاء فئة تراهن على ذكاء دمشق وقدرتها علـى الـصبر والانتظار وعلى تحمل المخاطر وسياسة حافة الهاوية المفضية دائماً إلى ثمن تدفعه من أوراق زائدة جمعت في أوقات سابقة سمحت بالحصاد (البني،2005).

رغم كل التأكيدات الأمريكية والتصريحات المعلنة بأن سياسـة واشـنطن إزاء لبنان جزء لا يتجزأ من قناعتها خصوصاً بعد حادثة 11 سبتمبر وما فرضته مـن نظرة استراتيجية جديدة في المنطقة سواء تضمنت نظاماً موعوداً لشرق أوسط كبير أو إصلاحات تناسب "سلم القيم" الأميركية في كل بلد مـن البلـدان، فـإن القاسـم المشترك لدى اللبنانيين هو أن الدفع القوي في اتجاه إصدار القرار 1559.

ومـن ثم تقرير الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة كوفي أنان الذي يؤكد عدم تنفيـذ متطلبات مجلس الأمن سببهما حسابات تتعلق بالنظرة الأمريكية إلى الدور السوري في المنطقة أولاً وأخيراً. فإضافة إلى أن واشنطن لم تعد تنظر بتـسامح إلـى أدوار إقليمية للدول خارج حدودها، فإنها سحبت بالتأكيد التفويض الذي أعطتـه لدمـشق لضبط "الساحة اللبنانية" في انتظار التسوية، وإزاء هذا الواقع الذي فرضته أجواء ما بعد 11 سبتمبر والتماهي الأمريكي مع نظرة أرييل شـارون إلـى الـسلام مـع الفلسطينيين والسوريين يستحيل تجنب خلاف عميق بين واشنطن ودمشق كونه ينهل من تعارض أيديولوجي ومن تعاكس في فهم المصطلحات. فلا السلام الشامل عبارة موحدة تعني الانسحاب الكامل من الجولان، ولا "الإرهاب" قابل لتعريف موحد، ولا واشنطن مستعدة للضغط على إسرائيل أو لتذكر قرارات الأمـم المتحـدة ومجلـس الأمن المتعلقة بالنزاع العربي-الإسرائيلي (شربل،2004).

نتيجة للضغوط الخارجية التي تعرضت لها سوريا، ونتيجـة لتـأثير الثـورة الشعبية التي اندلعت في لبنان، اضطرت سوريا إلى مغادرة لبنان بعد 30 عاماً من

الوجود العسكري فيه،في شهر أيلول/ سبتمبر 2005، أصدرت الأمم المتحـدة أول تقرير أولي لها يشير إلى دور سوري محتمل في اغتيال الحريري، مـع الإشـارة إلى أشخاص يرتبطون بصلة قربى للرئيس الأسـد مما أثار حالـة مـن الـضياع والإرباك داخـل صفوف أركان النظام السوري (Landis&Pace,2007) يبدو أن تحسن العلاقات بين واشنطن ودمشق أو فشلها متوقف على موقف سوريا ممـا ينسب إليها من استخدام أراضيها لتسهيل أنشطة المتمردين العراقيين.

إذ يرى العديد من المراقبين أن الأوضاع في العراق هي المحك الذي ستوضـع عليه رئاسة بوش. ومع ذلك، تتمنى سوريا صراحة إحباط السياسة الأمريكيـة فـي العراق، بهدف عدم الإقرار بتغيير النظام عن طريق القوة كنموذج لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، وهي سياسة يمكن أخذها بعين الاعتبار في ما يتعلق بالشأن السوري، ويبدو أن الرئيس السوري بشار الأسد قد قبـل بـإجراء بعـض الإصلاحات الاقتصادية والسياسية كوسيلة لإظهار بعض التعـاون مـع الولايـات المتحدة، ويتمنى أن يعفى من الاضطرار إلى منع المتمردين البعثيين في العراق من استخدام الأراضي السورية في أنشطتهم مع ما يستلزمه ذلك من إجراءات وبراهين (كاتزمان،2005).

عقب اغتيال الحريري ورفاقه، تعرض النظام الـسوري لـضغوطات شـديدة، وشعرت المعارضة السورية ولأول مرة في تاريخها باحتمال أن يسقط النظام الحاكم في دمشق، كما يقول المعارض (كمال اللبواني). شهد ربيع 2005، جهوداً كبيـرة لتوحيد قوى المعارضة من عربية وكردية تحت اسم (اللجنة الوطنية للـدفاع عـن الحقوق الأساسية للحريات والحقوق الإنسانية)، وطالب البعض بفتح قنوات حوار مع كافة القوى في سوريا ومن بينها حركة الإخوان المسلمين، وهذا يحدث لأول مـرة منذ مجازر حماة عام 1982، لدرجة أن المعارض السوري الكاتب والناشط علـي عبد الله، قرأ رسالة علي البيانوني المرشد العام للإخوان المسلمين في سوريا علـى أنها تشجع على استكشاف أفق الحوار في سوريا مع كافة القوى بما فيهـا حـزب البعث، ثم التقى بعد ذلك المعارض (الترك) مع البيانوني وأعلن نيته تشكيل تحـالف

مع حركة الإخوان المسلمين، وهذا ما يمهد لتحالف أوسع يضم كافة قوى المعارضة (Landis&Pace,2007).

إن الإدارة الأميركيـة مازالت تتـراوح بيـن سياسة العـزلة وتغييـر النظام فـي سـوريا، وعلـى الرغـم من أن الموقف الرسمـي الذي طالمـا عبرت عنه الخارجيـة الأمريكيـة هو الرغبـة في "تغيير السلـوك" وليس "تغيير النظام"، إلا أن هـذا لا ينفـي أن واشنطـن تتوقع أن يسـدل الستـار علـى تعنـت النظـام السـوري، فالإدارة الأميركيـة تـرى أن النظـام الـسـوري إن اسـتطاع أن يتحمـل الضغـوط فإنـه قـد يصعب عليـه تحمـل الضغـوط الداخليـة، ممـا قد يقـود إلى تغييـر داخلـي بقيـادة الأسـد فـي مواجهة الحـرس القديـم، أو ظهـور بديل للأسد من داخـل النظـام، وفي النهـاية فـإن النتيجـ ـة المتوقعـة هـو انـه مع مزيـد من الضغـط سيضطـر النظـ ـام الـسـوري لتغييـ ـر رؤيتـه وإستراتيجيته الداخليـة والخارجيـة، خاصـة مـ ـع فقدانـ ـه معظـ ـم أوراق الضغط التـي كان يمتلكهـا بانسحابـه مـن لبنـان وحـالة الهـدوء فـي فلسطيـن التـي خلفها الانسحـاب الإسرائيلـي من غـ ـزة وشمـ ـال الـضفـة الغربيـة وعلـى الرغـم من رؤيـة البعـض أن بشـار غيـر قـ ـادر علـى اتخـاذ القـرارات الحاسمـة والدخـول في مواجهة داخليـة صريحـة علـ ـى النقيض من أبيـه حافظ الأسـد ولكن فـي الـ ـوقت نفـسـه، مـازال الجنـاح الأقـوى داخـل الإدارة الأميركيـة يرى أنـه يجب المـراهنة علـ ـى بـشـار الأسـد وممارسـة المزيد من الضغوط لدفعه نحو مواجهة حتميـة مـع القيـادات القديمـة للبعث التـي تعـوق تطبيـع العلاقـات مع واشنطن وتغييـر سلـ ـوك النظام بينمـا تجـد فـي إستراتيجيـة تغييـر النظام مراهنـة خاسـ ـرة فـ ـي اللحظة الراهنـة ولعـل هيمنـة هـذا التوجـه الذي عبـرت عنـ ـه صـراحة وزيـرة الخارجيـة السابقـة كوندوليزا رايس وفريـق الخارجيـة الأميركيـة في مواجهـة وزارة الدفـاع يرجـع للعديـد من الأسبـاب، ومن أهمهـا أن البدائـل من خارج نظـام بشار ستكـون على الأرجـح الأخـوان المسلمـون والأصوليين السنة المرتبطين بتنظيـم القاعـدة، حيث أن المعارضـة الليبراليـة فـي الخـارج

ضعيفـة للغايـة وليس لهـا قواعد بالداخل ولهذا قرت واشنطن عدم رعايتهـا بعد التعلم من التجربة العراقية، والاكتفاء بدعم المنظمـات غيـر الحكوميـة الـسورية المطالبة بحقوق الإنسان في الوقت ذاته فإنه هناك صعوبة إيجاد شخصيـة بديلـ ـة لبشار يمكن الاعتماد عليها داخل النظام في سوريا حتى من بيـ ـن الشخـصيات العسكرية(بلال،2008)

وبين إدراك الولايات المتحدة أنه لا بديل من خارج النظام أو داخله في اللحظـة الراهنة لبشار الأسد، وصعوبة إقدام الرئيس السوري على الخطوات التـي تـسعى أميركا أن يخطوها سريعاً تتراوح لعبة الشد والجذب بين واشنطن ودمـشق. ولكـن يبدو أن المسؤولين الأميركيين واثقين إنه على الرغم من الصعوبات التـي يعانيهـا بشار داخلياً فإنه سيضطر للدخول في المواجهة وسيحسمها لصالحه، وربما يكـون تقرير ميليس الورقة الرابحة التي ستسقط في يد الرئيس الـسوري للـتخلص مـن الحرس القديم والسياسات القديمة (البني،2005).

هناك دروس واضحة يمكن للولايات المتحدة استنتاجها مـن العقـود الأخيـرة الماضية، فقد بات واضحا بما يكفي ان سياسة إدارة بوش قد فشلت في تحقيق هدفها الأساسي_ وهو تغيير سلوك سوريا_ بشكل جوهري.

ولكـن هـذا لا يعنـي ان سيـاسـة سـوريا لم تتطـور.بـل قد تطورت، فقـد غيرت دمشـق أسلوبها في العراق ولبنـان بما ينسجم أحياناً مع التوقعـ ـات الأمريكيـة وقامـت ببعض التنـازلات التكتيكيـة للـولايات المتحـدة، ولكن تلك التنازلات لم تكن بالغـة الأهميـة وتـم تنفيـذهـا بشكـل تدريجـي، وأدت فـي النهايـة إلـى تصلب وجهـات النظـر بالنسبـة لكـلا الجانبيـ ـن. لقـ ـ ـد تعلمـت سوريـا درسـا انـه ما من شـيء تقـوم به يمكـن ان يجـدي نفعـاً.

وكانـت النتيجـة تكـريس أسلـوب المواجهـ ـة الأمريكـ ـي وإضعـ ـاف أثـره فـي نفـس الـوقت (الحـوار مـع سوريـا؟ العـوائق والفـرص أمـام الولايـات المتحـدة،ص4).

الفصل الخامس

السيناريوهات المحتملة للسياسة الأمريكية القادمة في التعامل مع الملف السوري

1.5 المقدمـة:

لقد استخدمت الإدارة الأمريكية ثلاث أدوات أساسية في التعامل مع سـوريا في محاولة تغيير الأداء السلوكي السياسي السوري وهذه الأدوات:

1- العقوبات الاقتصادية: استند نظام العقوبات إلى شبكة من القوانين والتـشريعات التي سعت إلى الضغط عن طريق الوسائل التجارية والمالية والنقدية، وحتى الآن ما يزال التأثير الذي نجحت فيه القوانين موضع خلاف في قيامها بتحقيق نتائج إيجابية للهدف الذي وضعت من اجله.

2- الضغوط متعددة الأطراف: استند نظام الـضغوط متعـددة الأطـراف الـذي استخدمته الإدارة الأمريكية على توظيف قرارات مجلس الأمـن الـدولي والملـف اللبناني والمعتدلين العرب والحلفاء الأوروبيين في العمل من اجل تشديد العزلة على سوريا.

3-تقويض استقرار سوريا من الداخل : حيث تم استخدام ملفـات درجـت الإدارة الأمريكية استخدامها في التدخل بالشأن السوري كتوظيف مزاعم حقـوق الإنـسان ونشر الديمقراطية والإصلاح السياسي(موقع الجمل الالكتروني،2009).

ورغم بعض النجاحات في استخدام هذه الأدوات، فمن الصعب إنكار إن هذه السياسة قد فشلت، فقد غيرت دمشق أسلوبها في العراق ولبنان بما ينـسجم مـع المطالـب الأمريكية، وقدمت دمشق بعض التنازلات التكتيكية للولايات المتحدة، وأن لم تكـن بالغه الأهمية، لكن هذه لا يعني ان هذه السياسة قد نجحت كلياً في إجبار دمشق على تغيير سياستها في العراق أو في لبنان أو تجـاه حـزب الله أو تجـاه الفلـسطينيين (الحوار مع سوريا؟العوائق والفرص أمام الولايات المتحدة،ص4).

2.5 عـزل النظـام السـوري

منذ سقوط الاتحاد السوفيتي ودمشق تبدو وكأنها تتبع سياسة الانعزال عن العالم، وبالرغم من ذلك لم تقطع سوريا الأمل في تنامي العلاقة مع الغرب علـى أسـاس

المصالح السياسية بالدرجة الأولى، وهو ما اتضح من أمور عديدة، فالرئيس الراحل حافظ الأسد دعم حرب الخليج الثانية، واشتركت حكومته في مـؤتمر الـسلام فـي مدريد، وشارك أيضاً الولايات المتحدة أثناء رعايتها للمفاوضات التي جـرت فـي التسعينات مع الحكومة الإسرائيلية. ومع أن هذه العلامات تشير إلى إمكانية أن تتجه سوريا أكثر في طريق السلام كما طرحت الولايات المتحدة الأمريكيـة والارتبـاط التام مع الغرب، إلا أن ذلك المسار لم يكتمل كون الرئيس السوري بـشار الأسـد حافظ على العلاقة المتميزة مع إيران، وبحسب التقارير الغربية فهو ساهم أيضا في تحويل الأسلحة الإيرانية إلـى حـزب الله فـي لبنـان، وهـذا مـا لـم يـرض واشنطن(القروي،2005).

وأدى انهيار محادثات السلام بين سوريا وإسرائيل في عام 2000، بعد فـشل محادثات كلينتون - الأسد إلى سد المسار السوري خصوصا بعد انتخـاب اريبـل شارون رئيساً لوزراء إسرائيل الذي أنهى أي أمل يتعلق باستئناف تلك المحادثـات، وأدى ذلك في نفس الوقت إلى إضعاف ركن أساسي فـي العلاقـة بـين سـوريا والولايات المتحدة. ظلت العلاقات بين دمشق وواشنطن معقدة لفترة طويلة، فسوريا كانت من ضمن الدول التي حددتها الولايات المتحدة بصفتها دولة راعية للإرهاب، ومع ذلك فقد ظلت ترتبط معها بعلاقات دبلوماسية عادية.

ومن أسباب ذلك وجود قناعة لدى بعض المجموعات المؤثرة في واشنطن بأن مفتاح الاستقرار الإقليمي يكمن في صفقة سلام بين إسرائيل والعرب، وأن التوصل إلى ذلك هدف استراتيجي رئيسي تصبح معه مسائل أخرى مثل مناصـرة سـوريا للجماعات الراديكالية المتمثلة بحزب الله وحماس والجهاد مسائل ثانوية، إذا أمكـن إقناع السوريين بالتوصل إلى اتفاق مع إسرائيل. وهذا مبني أيضا على الاعتقـاد أن حل الخلاف بين سوريا وإسرائيل من شأنه أن يحل القضايا الناشئة عن تأييد سوريا لحزب الله والمجموعات الفلسطينية. ومن ناحيتها، فقد كانت دمشق مقتنعة أيضا منذ عهد الرئيس حافظ الأسد، بأن استرجاع الجولان لا يمكن أن يتم دون ضغوط مـن واشنطن. ونتيجة لهذا ظل التوازن قائما في العلاقات ، إلا أن الهزة التـي تلقاهـا

تمثلت في تغيير الوضع في العراق، ودخول الولايات المتحـدة كيـد فاعلـة فـي التغيير(القروي،2005).

وفي نهاية عام 2006 صدر تقرير لجنة خبراء العراق، والمعروف أيضاً باسم تقرير بيكر- هاميلتون والذي أكد على أن العودة للحـوار مـع دمـشق أصـبحت ضرورة إستراتيجية للولايات المتحدة خاصة بعد الفشل الذي تواجهه فـي العـراق على الصعيدين الأمني والسياسي.

وتبع صدور التقرير موجه من الهجوم على فريق بوش شـنها مجموعـة مـن المسؤولين السابقين على رأسهم هنري كيسنجر وزير الخارجية الأسـبق وبرنـت اسكوكرافت مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي جورج بوش الأب خلال أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وخلال هذه السنوات وبعد محاولة فرض العزلة من قبل الولايات المتحدة على سوريا إقليميا ودولياً متحججة تارة باغتيال الرئيس رفيق الحريري والمحكمة الدولية وتارة بتعاون النظام السوري مـع حـزب الله وإمـداده بالأسلحة أو تهريبها. تحاول سوريا جاهدة بكسر جليد علاقاتها الدوليـة وبمـساعدة فرنسية وخصوصا بعد حضور الرئيس السوري قمة الاتحاد من أجل المتوسط التي انعقدت في صيف 2008، بالإضافة إلى القمة الرباعية التي جمعت سوريا وفرنسا وتركيا وقطر في دمشق في أيلول من نفس العام لمواصلة الحوار الضروري لإنهاء العزلة عنها، إضافة إلى تفعيل العلاقات مع روسيا(محمود،2008).

ولا بد من فهم الأسباب التي تدفع باتجاه هذا الصراع والتأزم في العلاقـات بين سوريا والدول الغربية، لا سيما أن هذه الأخيرة ليست متجانسة فـي سياسـاتها الخارجية تجاه العالم العربي، إلا أنها تبدو متفقة علـى اتخاذ إجراءات شديدة ضـد النظام السوري. والواقع أن فرنسا تجاوزت جميع اعتراضاتها على السياسة العربية الأميركية والبريطانية لتعمل معهما في نفس السيـاق للضغط علـى سوريا، وذلك لسببين على الأقل : أولاً ما يتمتع به لبنان من علاقات متميزة مع فرنسا ، وثانيا ما كان يتمتع به المرحوم رفيق الحريري من صداقة شخصية تربطه بالرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك(القروي،2005).

على مدى سنوات إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش تمسكت هذه الإدارة بسياسة عزل سوريا عن المجتمع الدولي، وتجاهل البيت الأبيض العديد مـن الآراء التي طالبت باستخدام منهج أكثر برجماتية مع دمشق يقضي بالاستفادة من نفوذهـا في العديد من الملفات العالقة في الشرق الأوسط؛ وذلك دون تقديم تنـازلات تـضر بالمصالح الأمريكية في المنطقة، وبخـروج وزير الخارجية الأسبق كولن باول من الإدارة الأمريكية، سيطر الاتجاه الرافض للحوار مع دمشق علـى صناعة القرارات في واشنطن بشكل كامل(أيوب،2008). لقد بات الضغط على سوريا أمراً محتوماً، وحتى لو تعاونت سوريا بشكل كامل فيما يتعلق باغتيال الحريري، فإنه من المتوقع أن أميركا لن تقف عند هذا الحد، وستجعل عملية الرضـوخ لإملاءاتهـا المتعلقـة بالتخلي عن استضافة قادة فصائل المقاومة الفلسطينية، بالتوافق مع المـسار العـام لمشروع التسوية مع إسرائيل، فضلاً عن التعاون فيما يتعلق بالملف العراقي، هـي طوق النجاة الذي تقدمه للنظام الحاكم في سوريا(محمد،2005). وخـصوصا بعـد الحرب التي قادتها إسرائيل على قطاع غزة مستهدفة المقاومة الفلـسطينية ممثلـة بحركة حماس المدعومة من دمشق.

ولكـن العـزل اثبت انه قصيـر الأجـل، وقـد نتجـت التـصدعـات الحقيقيـة الأولـى عـن حـرب 2006 فـي لبنـان، فقد استنتجـت أكثـر من دوله غربيـة أن الحـوار مـع سوريـا ضروري، ونـادى بعض المـسؤوليـن الأمريكييـن والأوروبيين والإسرائيليين البارزين بضرورة تغيير السياسة المتبعـة والحوار مع سوريا باعتبارها جزءاً من الحـل، بينما بدأ الدبلوماسيـون الغربيـون بزيارة سوريا.

وفي تشرين أول / أكتوبر 2006 دعا البرلمان الأوروبي إلى الحـوار، بينمـا حث منسق الأمم المتحدة الخاص بعمليه السلام في الشرق الأوسط على التحدث إلى جميع الأطراف المشتركة في الصراع العربي الإسرائيلي، وفي الشهر ذاته أرسـل رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير كبير مستشاريه إلى دمشق.

وبالرغم من هذا التقارب غير المنسق وغير المخطط له فقد كان مزعجاً النسبة إلى الإدارة الأمريكية دون أن يكون مرضي بشكل كبير للإدارة السورية فهو لم يقدم

إلا القليل،ومع مرور الوقت كان كثير من الدبلوماسيين الأوروبيين يـسافرون إلـى سوريا آملين بالحصول من خلال الحوار على ما فشلت واشنطن في الحصول عليه من خلال الضغط، ولم يخف المسؤولون الأوروبيون خيبة أملهم، وفي النهاية أصيب كل من الأوربيون والسوريون بالإحباط : الأوروبيون بسبب عدم حـصولهم علـى نتائج، والسوريون بعد أن زال شعورهم الأولي بالرضا، بسبب ضجرهم من التدفق اللامتناهي للزوار الذين لا يقدمون الكثـر مـن كلمـات التـشجيع(الحـوار مـع سوريا؟العوائق والفرص أمام الولايات المتحدة،ص18).ورغم ذلك فأن التـصدعات سرعان ما بدأت تظهر في واشنطن نفسها، ففي كانون الأول /ديسمبر عـام 2006 قامت لجنة بارزة من الحزب الجمهوري والديمقراطي يرأسـها وزيـر الخارجيـة الأسبق جيمس بيكر وعضو الكونجرس السابق لي هاميلتون بإصدار تقريـر لجنـه العراق وكان من ضمن توصياتها الرئيسية الحاجة إلى التحدث مـع كـل جيـران العراق بما في ذلك سوريا وإيران .

وقد مهد هذا التقرير أمام عدد من الزيـارات لوفـود رفيعـة المـستوى مـن الكونجرس إلى دمشق .

وخلال عام 2007 و 2008 حاولت واشنطن أن تحافظ على ما تستطيع مـن المقاطعة من خلال الضغط على الأنظمة العربية لتقليل المشاركة في القمة العربيـة التي عقدت في آذار /مارس 2008 في دمشق.

ولكي يتم دفن فكرة عزل سوريا نهائيا تطلب الأمر حدثين وقعا بتسلسل سـريع في عام 2008، والحدثان هما الإعلان في 21 أيار/مايو عن محادثات إسـرائيلية-سورية غير مباشرة بوساطة تركية، واتفاق الدوحة . وقد كان للتطور الأول دلالتـه الخاصة من كونه يأتي بعد ثماني سنوات من جهود الرئيس كلينتون غير الناجحـة للتوسط في تسويه سوريه – إسرائيلية، وعلى الـرغم مـن إن الإدارة الأمريكيـة للرئيس بوش قد حثت رئيس الوزراء الإسرائيلي اولمرت بشكل متكرر

على عدم استئناف المحادثات فلم يكن بإمكانها أن تنتقد المحادثـات علنـا بعـد حدوثها بل على العكس رحبت بها رغم أنها تعتبر رفضاً قوياً لـسياسة الولايـات المتحدة.

كـذلك فـأن اتفاق الدوحـة قد قـوض أحـد الأركـان الأساسيـة للسياسـة الأمريكية فقد كان دعم أوروبا ، وبخاصة فرنسا وقبولها بالأسلوب الأمريكي نابعـاً بشكل أساسي من العداء لتصرفات سوريا في لبنان ، لكن بعد توقيع الاتفاق بـدعم مباشر مـن سوريا أصبحت فرنسا في مقدمه مـن يمد أيديهـم إلى سـوريتا ممـا أثار قلق واشنطن.

وقد أدى هذان التطوران إلى تجديد الجدل داخل الإدارة الأمريكية، فقـد كـان البعض يضغط باتجاه تغيير في السياسة الأمريكية، بينما بقي البعض الآخر متشككاً بالنوايا السورية وكانت النتيجة حلا وسطاً بين الاتجاهين. فلا يوجد تغيير كبير فـي السياسة الأمريكية مع وجود رغبه في الكلام، وعلى هامش الجمعية العامـة للأمـم المتحدة في أيلول/ سبتمبر 2008 التقت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة رايـس مع وزير الخارجية السوري المعلم، وكان ذلك ضد رغبات مـسؤولين كبـار فـي الإدارة الأمريكية.

وفي ضل الإدارة الأمريكية الحالية للرئيس اوباما وحتى لـو كانـت الولايـات المتحدة سريعة في استئناف العلاقات الدبلوماسية الطبيعية، فأن سنوات عديدة مـن القطيعة والعزل لا بد أن تترك أثرها ، فعملياً انقطعت الاتصالات بين الدولتين، وإذا ما استثنينا غياب الثقة المتبادلة بين الطرفين ، فـأن صـناع الـسياسة الأمريكيـة سيحتاجون إلى بعض الوقت ليعتادوا على التغيرات التي طرأت على النظـام مـن حيث الحكم وهيكلة السلطة وفهم التهديدات الإقليمية والقيود الاجتماعية والاقتصادية ويمكن أن تكون الخطوة الأولى المفيدة لإعادة شيء من الثقة من خلال إنشاء قنـاة بين الرئيسين (الحوار مع سوريا؟العوائق والفرص أمام الولايات المتحدة،ص18).

3.5 تقديم المغريات إلى جانب وسائل الضغط

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية جاهدة للضغط على سوريا للتخلي عن تعنتها على حد قول الإدارة الأمريكية للتخلي عن ورقة المقاومة الفلسطينية، والانخراط في المسار العام لمشروع التسوية للدخول في مفاوضات نهائية مع الكيان الإسـرائيلي، تقدم سوريا من خلالها تنازلات يراها الإسرائيليون ضرورية لحالة "سـلام" دائمـة

على سبيل المثال التنازل عن أجزاء من الجولان بالإضافة الـى ضـمانات أمنيـة وتطبيع، وبشكل عام أخذت الادعاءات الأميركية تتزايد بأن النظام السوري يعـاني حالة ضعف يمكن استثمارها إما في إسقاطه أو الضغط عليه في سـبيل الحـصول على مكاسب كبيرة. وقد ادعى شارلز كراوثامر في مقال نشرته الواشنطن بوسـت في نيسان 2005 بأن هناك محور شر جديد تمثلـه سـوريا وإيـران وحـزب الله وحماس والجهاد الإسلامي، وأن سوريا هي الجائزة،"Syria is the prize" حيث إن الضغط عليها سهل، وأنه إذا ما تم قلب الأوضـاع فيهـا فـإن هـذا المحـور سينكسر(محمد،2005).

للساسة الأمريكيين وجهات نظر متعددة فيما يجب فعله مع النظـام الـسوري فهناك من يفضل سياسة العصا والجزرة مع سوريا وهذا الخيار قريب من الخيـار السابق المتعلق بممارسة الضغوطات المختلفة على سوريا، ولكنه يفضل تقديم بعض المغريات والأثمان إلى جانب وسائل الضغط. وفي دراسة نشرها في أغـسطس/آب 2005، ينصح دينيس روس المنسق العام للسلام في الشرق الأوسط سابقاً، الإدارة الأميركية بانتهاج سياسية العصا والجزرة، ولكنه ينبه إلـى وجـوب ضبط وتوضيح هذه السياسة، إذ يرى أن الحكومة الأميركية لم تحدد مـا يمكـن أن تقدمه من مكافآت لسوريا في حال استجابتها للإملاءات الأميركية، كما أنها لم تحدد من ناحية أخرى، ما هي طبيعة العقوبات التي تلوح بها.

ويرى أيضاً أن اتباع سياسة العصا والجزرة، لا يمكن أن يكون فعالا ما لم يكن الطرف الأوروبي مستعداً للتجاوب مع السياسة الأميركية بهذا الخصوص، وموافقـا علـى أي إجـراءات قـد تتخـذها الولايـات المتحـدة ضـد سـوريا فـي المستقبل(محمد،2005).

سقوط النظام العراقي عام 2003 ساهم في تعزيز الضغوطات علـى سـوريا حيث حرمها من البترول الرخيص الثمن والسوق التي كانت مفتوحـة لـصادراتها، بالإضافة إلى وجود حوالي 150 ألف من القوات الأميركية على حدودها، وأكثر ما خشيته سوريا هو تأثير سقوط نظام الرئيس الراحل صدام حـسين علـى وضـعها الداخلي من حيث احتمال تقوية المعارضة، لذا على الفور طلبت الإدارة الأمريكيـة

من خلال وزير الخارجية آنذاك كولن باول مساندة الأسد لخريطة الطريـق التـي يشجعها بوش من أجل إنجاح المفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية ، كما طلب باول من الأسد أن يأمر بانسحاب 20 ألف من القوات المرابطة في لبنان، مهدداً سـوريا بعواقب سيئة إذا استمرت في تقديم التسهيلات للفصائل الفلسطينية المعتبرة فـصائل إرهابية في واشنطن، وتوالت الضغوط بعد ذلك، وراحت التقارير تتوالى عـن دور سوريا في المقاومة التي يلقاها الأميركيون في العراق، من حيث إيوائها للعـراقيين المطلوبين وسماحها للراديكاليين الإسلاميين بالمرور عبر الحدود، وهي اتهامـات تتردد إلى اليوم ، وهذا ما دفع النظام السوري نحو تقديم بعض التنـازلات، حيـث استجاب لمطلب باول بإغلاق المكاتب الفلسطينية المعنية، وهذا مـا جعـل بعـض الأصوات تتعالى ساخطة على هذا الموقف، ولكن في مؤتمر شرم الشيخ الـذي تـم خلاله مناقشة خارطة الطريق، أوضح الأسد أن دمشق تقبل ما يختاره الفلـسطينيون لتقرير مصيرهم، وأنه لدى سوريا النية لاستعادة العلاقات الطيبـة مـع الولايـات المتحدة، وقد كرر مثل هذه التصريحات بعد ذلك مراراً (القروي،2008).

لقد كانت إستراتيجية عزل النظام السوري من قبل الإدارة الأمريكية لا تتوافق مع ديناميكية ملف العلاقات الأمريكية السورية، التي تعتمـد بـشكل كبيـر علـى المتغيرات التي يشهدها مسرح الأحداث الساخن في الشرق الأوسط، حيث جـاءت الحملة التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد سوريا بدعوى تورطها في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، والتي جاءت في وقـت كانـت الولايـات المتحدة تقاطع فيه سوريا دبلوماسيا كوسيلة لمزيد من الضغط على النظام السوري. وفي نفس السياق تم سحب السفير الأمريكي من دمشق عام 2005 كان القصد منه ردع سوريا وتهديدها إلا أن النتيجة كانت عكس ذلك حيث قامت سوريا بالتـصعيد في المقابل، واتبعت سياسة المعاملة بالمثل مع واشنطن وهذا ظهر في العديـد مـن ردود الأفعال السورية من ضمنها طرد بعض منظمات المجتمع المدني من دمـشق مثل منظمة أميديست التعليمية وكذلك هيئة فولبرايت للتبادل الطلابي الثقافي، علاوة على أن دمشق استخدمت تصعيد واشنطن بذكاء شديد لتبرير أفعالها في العديد مـن

الملفات على رأسها العراق ولبنان بدعوى أنها ترد علـى التـصعيد الـذي بدأتـه واشنطن (أيوب،2008).

4.5 التدخل العسكري المباشر

إن خيار التدخل العسكري المباشر من قبل الولايات المتحدة الأمريكيـة خيـار يدافع عنه من يرون أن مخاطر بقاء سوريا في قبضة نظام الأسد أعظم بكثير مـن مخاطر الإطاحة به. ونلاحظ في الآونة الأخيرة تجدد الحملة الداعيـة إلـى اتخـاذ إجراءات أكثر صرامة ضد سوريا وإيران في أوساط المحـافظين الجـدد، وعلـى الرغم من إدراك المتشددين من المحافظين الجدد أنه من المستبعد أن تكون الضربة العسكرية هي الخيار الأول للولايات المتحدة بسبب انشغالها في العراق، فإن العمـل العسكري ما زال الخيار المفضل لدى هذه الفئة التي تود أن ترى النظام في كل من سوريا وطهران يتغير كما حو حاصل في العراق بالرغم مـن الـصعوبات التـي تواجهها الإدارة الأمريكية هناك(محمد،2005).

يبدو خيار التدخل العسكري المباشر في سـوريا الأوّل قبـولاً عنـد الإدارة الأمريكية نظراً لما يحدث في العراق، ولخوف الخبراء الأمريكيين مـن أن يـؤدي تدخل الولايات المتحدة عسكرياً في سوريا إلى تأجيج روح العداء ضدها في العالمين العربي والإسلامي، فضلاً عن عدم وجود أية ضمانات أكيدة بأن سوريا لن تتحـول إلى مستنقع خطير ومدمر للولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة وخصوصاً الكيـان الإسرائيلي، وقد نقلت صحيفة هآرتس في الثالث مـن تـشرين الأول 2005 عـن مصادر رسمية إسرائيلية أن مسئولين أمريكيين استشاروا الإسرائيليين مؤخراً حول من يمكن أن يخلف الأسد، مع المحافظة على استقرار سوريا.

وقال الأميركيون أن انطباعهم أن إسرائيل تفضل إضعاف الأسد، بحيث يـسهل وضعه تحت الضغط الدولي وبحيث يظل في السلطة، وأن إسرائيل غير متحمـسة لاحتمالات تغيير النظام في سوريا (محمد،2005).

الاختراق الجوي الإسرائيلي للأجواء السورية في عام 2007 لضرب ما ادعت إسرائيل انه مفاعل نووي سوري يشير إلى أن الأوضاع في المنطقة تقتـرب شـيئاً

فشيئاً من حافة الهاوية، وإذا أضفنا إلى ذلك العلاقة المتوترة مع إيران، فضلاً عـن التعقيدات الكثيرة في ملفات المنطقة من غزة إلى العراق مروراً بلبنان وسوريا، فان الاحتمالات بإمكانية توجيه عمل عسكري نحو سوريا يقع في دائرة الحتميات بالنسبة للسيناريوهات المحتملة فمن الصعب أن نقول أن إسرائيل ستشن حرباً على سوريا، وأيضاً من الصعب أن نحدد مدى وحجم هذه الحرب. وبالنظر إلى الواقع الـسياسي والى المعطيات الإقليمية آنذاك، فيجب أن نسأل ما هي حدود هـذه الحـرب. هـل ستكون حرباً شاملة أم إنها عبارة عن ضربة محدودة أم هي نـوع مـن الـضغط العسكري لإحداث حلحلة ما في الموقف السياسي السوري (اسرائيل تصرخ صرخة الحرب وتدفع بالأوضاع إلى حافة الهاوية" حوار مع ماجد كيـالي، منـشور فـي صحيفة الراية القطرية،2007).

لا شك أن واقع المواجهة بين سوريا والولايات المتحـدة الأمريكيـة محكـوم بشروط واعتبارات عديدة، وأيضاً هو ليس فقط محكوماً بإرادة الطرفين، وإنما فـي إطار التطورات السياسية الإقليمية والدولية والعوامل الأخـرى الفاعلـة فـي هـذا الإطار، وبالتالي فإن كل الاحتمالات تبقى مفتوحة ولا يمكن أن نرجح احتمالاً على آخر، وخصوصاً أن إسرائيل ستعاب دوراً رئيسياً عند الدخول في مواجه محتملة مع النظام السوري، فالهزيمة الثقيلة التي مني بها الجيش الإسرائيلي في لبنـان صـيف العام 2006 سيشكل حافزاً لإسرائيل لشن حرب على سوريا ورد الاعتبـار لهـذا الجيش، ولكن علـى الجانب الإسرائيلي التفكير ملياً قبل اتخـاذ هكذا قرار.

أن نتائج الحرب الإسرائيلية على لبنان في صيف العام 2006 أدت إلى تآكـل قوة الردع الإسرائيلية، وساهمت في اهتزاز صورة إسرائيل كدولة رادعـة تمتلـك جيشاً لا يقهر. وهذا المفهوم بالنسبة لإسرائيل هو مفهوم استراتيجي لأنه لا يـشكل مسألة عادية لدولة غير عادية. فإسرائيل دولة غير عادية، ومسألة الردع بالنسبة لها مسألة وجودية وليست مسألة لها علاقة بواقع موازين القوى فحسب. صورة إسرائيل كقوة رادعة هي جزء من أمنها الاستراتيجي والوجودي، وهذا العامل الرئيسي الذي سيؤثر على علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالنظام السوري(إسـرائيل تـصرخ

صرخة الحرب وتدفع بالأوضاع إلى حافة الهاوية" حوار مع ماجد كيالي،منشور في صحيفة الراية القطرية،2007).

5.5 توجيه ضربة عسكرية محدودة

يعتبر توجيه ضربة عسكرية محدودة بالنسبة لأميركا من الخيارات التي قد تهز ثقة النظام بنفسه وتهز ثقة الشعب بالنظام الحاكم ويفقده هيبته، حسب وجهـة نظـر الساسة الأمريكيين المطالبين بضرب سوريا عسكريا، بالإضافة إلى ما قد يحدثه من إصابات وأضرارا جسيمة في المواقع المستهدفة، حيـث يعتبـر خيـار الـضربة العسكرية محدود التكاليف ولا يتضمن عادة خسائر أمريكيـة تـذكر فـي الأرواح خصوصاً مع استخدام السلاح الجوي والصواريخ، لكن هذا الخيـار يـدخل ولـو مرحلياً في دائرة إضعاف النظام وليس إسقاطه(محمد،2005).

ولا تستبعد الإدارة الأميركية توجيه ضربة عسكرية ضد سوريا من حـساباتها الإستراتيجية، وقد تحدثت مجلة نيوزويك في عددها الصادر في 4 أكتوبر/تـشرين الأول 2005 بأن هناك حركة يقوم بها الجنرالات والأدميرالات في البنتاغون مـن أجل تجديد الخطط المحتملة لضربة أميركية لسوريا، ومع أن بعض المسئولين فـي الإدارة الأمريكية يعتبرون هذه الحركة عملاً روتينياً في إطار المراجعـة الدائمـة للخطط العسكرية الأمريكية في ضوء الحرب على العراق، فإن بعـض الأصـوات ترتفع مطالبة بشن ضربة عسكرية جوية خاطفة على مواقـع عـسكرية سـورية، خاصة في محافظة حلب والمناطق التابعة لها، حيث تدعي الأوساط الأمريكية وجود معسكرات يتدرب فيها "الإرهابيون" على حد تعبيرهم قبل انطلاقهم إلى العراق عبر الحدود السورية العراقية، ونقلت صحيفة فاينانشال تايمز في 10 أكتـوبر/تـشرين الأول 2005 عن فلينت ليفريت أن الإدارة الأميركية تدرس شن عمليات عـسكرية عبر الحدود داخل سوريا لتضغط على نظام الحكم، وتعطي رسالة للسوريين داخـل سوريا وخارجها بأنه حان أوان تغيير نظام الحكم(محمد،2005).

إن توجيه ضربة عسكرية لسوريا ستكون إسرائيلية وبدعم أمريكي، وهي ضربة محدودة، وعبارة عن تحرك عسكري محدود على الحدود يترافق بـضربات جويـة

لأهداف مختارة في العمق كمعسكرات الفـصائل الفلـسطينية ومقـرات القيـادات الفلسطينية ومواقع قريبة من القصر الجمهوري، وتعتبر سوريا من وجهـة النظـر الأمريكية الحلقة الأضعف في متغيرات حلف المقاومة والممانعة، حيث أن ضـرب إيران غير وارد حالياً وكذلك معاودة ضرب حزب الله، أما ضرب حماس واجتيـاح غزة فلا يقدم شيئا في تغيير نظرة الولايات المتحدة إلى سوريا أو تغييـر الأخيـرة مواقفها من المقاومـة، وهناك عدة ظروف قد تساعد توجيه هذه الضربة العسكرية كالآتي(الصواف،2007).

1- ليس لضرب سوريا تأثير على سوق النفط الدولي.

2- ليس لضرب سوريا تأثير على القوات الأمريكية في العراق.

3- محدودية المعارضة الروسية والصينية لتوجيه ضربة محدودة لسوريا.

4- هي ضغط إضافـي للمحكمـة الدوليـة في هـز النظام السوري.

5- تحقيق نصر تكتيكي في مشروع الشرق الأوسط الجديد مـن خـلال مجابهـة عسكرية محدودة (الهجمة الامريكية على الشرق الاوسط).

مهما كان حجم الضربة على سوريا، فهي اختبار لحجم رد الفعـل الـسوري وكذلك الدولي، في حين يسهل تغيير المعادلـة الحاليـة فـي المنطقـة، تحـضيرا لمفوضات الحل النهائي مع إسرائيل، حيث يمكن ممارسة العزل والضغط ومزيد من التنازلات عبر هز النظام السوري، فمن وجهة النظر الأمريكية أن النظام في سوريا سيئ لكن البديل المطروح أسوأ وبالتالي ليست الغايـة إسـقاط النظـام إنمـا هـز الاستقرار السوري وتوازنه (الصواف،2007).

فـي ظل الإدارة الأمريكيـة الجديدة مـن الـصعب تخيـل أن العلاقـات الأمريكية - السورية لن تتحسن بشكل كبير، فبينما كانت الإدارة السابقة تؤيد سياسة العزل، فان الإدارة الحالية قد وعدت بالحوار، وبينما كانت الإدارة الـسابقة تفكـر أحيانا بإعادة تشكيل المنطقة فان الإدارة الحالية قد تبنت أهداف أكثر واقعية، فلم يعد قائما في الأجندة الأمريكية تغيير النظام سواء في دمشق أو طهران.

لكن وبناء على التركة الثقيلة التي خلفتها إدارة بوش فمن المرجح أن الطريق لن تكون سهلة أبدا ، ومن المنظور الأمريكي فان عددا من العوامل تعيق وتعقد أي مراجعة جوهرية للسياسة:

أ- التحدي في طي صفحة بوش وإعادة ابتكار صفحة جديدة : فالعلاقـات الثنائيـة كانت مضطربة لعقود وليس فقط في السنوات الثماني الماضية، وحتى فـي أوج عملية السلام السورية_ الإسرائيلية فقد بقيت سـوريا علـى قائمـة الإرهـاب الأمريكية، وكانت العقوبات مطبقة ، وكانت الاختلافات بين الجـانبين شـديدة الوضوح ، ولن ترغب إدارة اوباما في العودة إلى الماضي التي كانت تتعـايش فيه السياسات السورية العدائية بنظر أمريكا جنبا إلى جنب مع اتصالات ثنائيـة عميقة ومستمرة .

ب- وجود ارث من العقوبات والقرارات الدولية من الصعوبة تجاهلها أو التراجـع عنها: فقد شهدت السنوات الثمانية الماضـية فـرض شـبكة مـن العقوبـات الاقتصادية وقرارات مجلس الأمن والتي لابد أن تؤثر على العلاقات المستقبلية، ولا يمكن لاوباما أن يقوم بشطب هذه العقوبات ، كما انه لا يرغب بذلك بعد أن أصبحت هذه العقوبات مصدرا للضغط والتأثير على السياسة السورية .

وسيكون التحدي بالنسبة إلى إدارة اوباما في التخفيف من هذه العقوبات بـشكل تدريجي في خطوات موازية للاستجابة السورية.

ج- الإجماع الأمريكي من كلا الحزبين على تدعيم سياسة لبنان واستقلاله: بخلاف فترة التسعينات من القرن الماضي فان الولايات المتحدة اليوم مـصممة بعـدم القبول التدخل السوري في شؤون لبنان أو أي خرق لسيادته ، وهذا الرأي اصبح أولوية تتبناها الطبقة السياسية بكاملها ، لذلك ستكون هناك مقاومـة كبيـرة لأي خطوة يؤدي تأثيرها إلى إضعاف سيادة لبنان ، كما سيكون هناك رد فعل سلبي قوي تجاه تدخل سوريا في شؤون جارتها.

د- إمكانية تداخل محكمة الحريري مع أي تقارب أمريكي _ سوري : من الممكـن أن تتأثر العلاقات الثنائية بنتائج محكمة الحريري في حال إثبات المحكمة وجود تورط سوري في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق ، فإذا ما رفضت دمشق

شرعية المحكمة ورفضت أن تسلم مشتبها به مثلا فسيكون الضغط من الولايات المتحدة من اجل الرد وإيقاف أي تحسين في العلاقات الثنائية.

هـ- سيؤدي الإطار الإقليمي إلى تعقيد الجهود الرامية إلى تطبيع العلاقات الثنائية: هناك عقبات جديدة في طريق تحسين العلاقات الأمريكية_ السورية والتوصل إلى اتفاق إسرائيلي _ سوري ، نتيجة لثلاث حروب في العراق ولبنان وغزة، إضافة إلى انتشار الطائفية وتعميق الاستقطاب العربي ، فقد أصبحت سوريا اقرب إلى دول وحركات تتمنى واشنطن لو تنفصل عنها ، ومن الطبيعي ان التقارب مع الولايات المتحدة واتفاق السلام مع إسرائيل سيتطلب من النظام السوري القيام بتعديلات استراتيجية كبيرة، وسيكون من الصعب التفكير بذلك بالنسبة إلى النظام نظرا لما تتميز به تحالفاته مع إيران وحزب الله وحماس من فائدة واستمرارية وموثوقية.

وعلى ضوء هذا فيجب ان تتم إدارة الخطوات الأولى لواشنطن بتعقل وحكمة، وعلى إدارة اوباما ان تسعى إلى التمهيد لتحقيق التواصل المطلوب من خلال التأسيس لإطار دبلوماسي جديد (الحوار مع سوريا؟العوائق والفرص أمام الولايات المتحدة ص26).

وبالتالي فأن التوقعات إزاء مستقبل هذه الجهود سيندرج ضمن الاحتمالات الآتية:

1- **سيناريو التعاون** : يتطلب من الإدارة الأمريكية الالتزام بالمصداقية في التعامل مع الملفات الشرق أوسطية، ومن منطلق استقلالية صنع واتخاذ قرار السياسة الخارجية الأمريكية إزاء الشرق الأوسط ، وهو أمر صعب التحقيق طالما تأثير العامل الإسرائيلي قويا وفعالا على دوائر صنع قرار السياسة الخارجية الأمريكية.

2- **سيناريو الصراع** : يتطلب من الإدارة الأمريكية ان تضع كل أوراقها الشرق أوسطية في دائرة الرهان على الخيار الإسرائيلي، وهو أمر غير ممكن لان العديد من الأطراف الأمريكية أصبح أكثر إدراكا لمدى خطورة الرهان على الخيار الإسرائيلي.

3- **سيناريو المناورة:** يتطلب من الإدارة الأمريكية السعي من اجل الوقوف في منزلة بين الخيارين السابقين بما يفضي قدراً اكبر من الثقة على سلوك السياسة الخارجية الأمريكية الشرق أوسطية، وسيكون هذا السيناريو هو الأكثر احتمالاً (إعادة تفعيل دبلوماسية خط دمشق- واشنطن وتأثير العامل الإسرائيلي).

الخاتمة

تتركز الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط على عناصر أساسية تشكل مفتاحاً رئيسياً لفهم خصائص السياسة الأمريكية في كيفية تعاملها مع الملفات الهامة في المنطقة. وتركز أولويات الإدارة الأمريكية على التعامل مع الدول التي تعتبرها دولاً مارقة وداعمة للإرهاب، ثم التركيز على الدول المحورية في المنطقة، مثل مصر والسعودية، وأيضاً المغرب، ويمكن القول أن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط تتسم بالقدرة على التكيف مع تطورات الأحداث من خلال تعديل جهودها وفق ما تقتضيه الظروف والبيئة السياسية المحيطة في المنطقة، وتتضمن العناصر الرئيسية للإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط الحرب ضد الإرهاب ومكافحة انتشار الأسلحة النووية والتحول الديموقراطي في الشرق الأوسط.

وعلى صعيد السياسة الدولية في أعقاب الحرب على العراق، اصبح موضوع إعادة تشكيل الشرق الأوسط وتنظيمه من الأهداف الرئيسية للسياسة الأمريكية الخارجية بالرغم من الصعوبات التي تواجهها الولايات المتحدة وحلفائها في العراق. و هذا النقاش يشمل المطالبة بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط الكبير. لقد دخل نظام الحكم في سوريا في دائرة الاستهداف الأميركي وعلى نحو متسارع خلال السنوات الأخيرة لعدة أسباب أهمها الاحتلال الأميركي للعراق وانعكاساته على المنطقة، وأسلوب التعاطي

السوري غير المرضي لأميركا معه، بالإضافة للتطورات الأخيرة على الساحة اللبنانية ودعم سوريا لحزب الله، وخسارة سوريا للورقة اللبنانية بعد الانسحاب منها، واحتمالات استخدام نتائج التحقيق في اغتيال الحريري وسيلةً للضغط على سوريا، كما لعبت رغبة اليمين الديني والمحافظين الجدد في أميركا في استخدام ثقلهم الكبير في البيت الأبيض، دوراً هاماً لإحداث تغييرات في الشرق الأوسط تخدم المصالح الأميركية والإسرائيلية، حتى لو اقتضى ذلك أحياناً استخدام وسائل وأساليب أكثر قوة وعنفاً.

ولعبت العلاقة الحيوية والإستراتيجية بين سوريا وإيران دوراً رئيسياً في جمود العلاقات السورية الأمريكية، لما لإيران من دور بارز في دعم حزب الله اللبناني وحركة حماس.

ومن الأسباب التي ساهمت في دخول سوريا دائرة الاستهداف الأمريكي، دعمها لفصائل المقاومة الفلسطينية وخصوصا حماس والجهاد الإسلامي، حيث يتواجد العديد من قياداتها في دمشق، وربما ستعزز نتائج الحرب الأخيرة على قطاع غزة في بداية استلام الإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة بارك اوباما ضغوط الأخيرة على دمشق لإغلاق مكاتب المقاومة الفلسطينية في دمشق والكف عن دعمها مقابل انفراج العلاقات بين البلدين.

أن التحول الدراماتيكي في العلاقات بين دمشق وواشنطن يحتاج إلى إعادة النظر من الأخيرة، وتقسم العلاقة بين سوريا والولايات المتحدة إلى مرحلتين الأولى تبدأ بانتهاء الحرب الباردة، والتي شهدت تعاونا محدودا بين البلدين، وفي هذا المرحلة اتبعت إدارتي الرئيس جورج بوش الأب وبيل كلينتون إستراتيجية برجماتية في العلاقات مع سوريا قامت على أساس البحث عن الأرضيات المشتركة التي يمكن أن تتقابل فيها المصالح السورية الأمريكية، ومن ضمنها المصلحة المشتركة لكل من واشنطن ودمشق في إسقاط نظام الرئيس

الراحـل صـدام حسين لذا كانت الموافقة السورية على المشاركة في حرب الخليج الأولى.

أمـا مظهـر التعـاون الثانـي فكان هو مشاركة سوريا في مـؤتمر مدريـد للسلام عام 1991، والتي كانت بمثابة مبادرة لنقل عملية السلام في الشرق الأوسط لمرحلة جديدة، حيث شهدت هذه الفترة مجموعة من اللقاءات بين الرئيس كلينتـون والرئيس السوري حافظ الأسد كانت من شأنها أن تؤدي لاتفاقية سلام بـين سـوريا وإسرائيل. وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين سياسات ومصالح واشنطن ودمشق فقد بقيت القنوات الدبلوماسية للحوار دائما مفتوحة. إلا أن الدعم السوري للمقاومـة في لبنان وفلسطين ممثلة بحزب الله وحركة المقاومة الإسلامية "حماس" وتحالفها مع إيران من الأسباب الرئيسية التي تزيد من العزلة بين واشنطن ودمشق.

أما المرحلـة الثانية فبدأت منذ الغزو الأمريكي للعراق واحتلاله عـام 2003، بالنظر إلـى الأسباب الأيديولوجية الكامنـة وراءه حسب وجهـة النظر السوريـة وهي الرغبـة في إعادة تشكيل المنطقة من خلال تغيير النظام بالقوة.

ففي هذه المرحلـة فإن العلاقات الثنائيـة كانت مضطربـة، وبقيت سوريا علـى القائمـة الأمريكيـة للدول الراعيـة للإرهاب، وكانت العقوبات مطبقـــة، كمـا كانت الاختلافات في السياسـة بين الجانبين شديدة الوضـوح لقد دفعت السياسة الأمريكية سوريا إلى توثيق تعاونها مع إيران بعد ما أصبحـت إيـ ـران اللاعـب الوحيـد الـذي فـي إمكانـه استغـلال النفوذ السوري في المنطقـة لدعم حزب الله وحركة حماس. وقد ترى واشنطـن العودة إلى إتباع سياسـة أكثـر براغماتية مع دمشق محاولة الاستفادة من نفـوذ الأخيرة فــي المنطقـة للتعاطــي مـع الملفـات الشائكـة فـي الشـرق الأوسط والعــودة إلــى فتــح القنــوات الدبلوماسيـة بيـن العاصمتين ولو كان ذلك سيكـون بمثابـة اعتراف أمريكــي بالهزيمـة أمـام دمشق. ولكـن كيـف ستتـم تغطيــة ذلـك خـصوصـا أن دمشـق ستحـاول التعـويض عمـا لحقهـ من خسائـر أما من خـلال تسويـة ما حـول المحكمـة الدوليـة أو عـودة الـدور السـوري إلـى لبنـان.

إن كل ما سيحدث من تطورات في المرحلة اللاحقة يعتمد اعتماداً أساساً علـى الموقف الأمريكي والنوايا الأمريكية وليس على الموقف السوري كما يعتقد البعض، فقد تقوم سوريا بكل ما يتوجب عليها من التزامات تجاه المطالب الدولية، ولكن قد لا يكون ذلك كافيا بالنسبة للنوايا الأمريكية وقد يدفع ذلك إلى أن يجر تنفيذ المطالـب الحالية مطالب أخرى وان يسحب التنازل الآن معه تنازلات أخرى وهكذا دواليـك حتى نصل إلى ما وصل إليه العراق.

المراجـع

أ- المراجع باللغة العربية

ابرز العقوبات التي ستواجه إدارة اوباما في إعادة الحوار مع سوريا، قسم الدراسات والترجمة، موقع الجمل الإلكتروني، 2009/2/17

الاشعل، عبدالله(2007)، **(الإستراتيجية الأمريكية إزاء سوريـا وإيـران) موقـع اخوان اون لاين بتاريخ 2007/1/22.www.ikhwanonline.com**

الاشعل، عبدالله، (2005)،**هل يعتبر القرار 1559 جزء من الشرعية الدولية، مجلة السياسة الدولية**، العدد 160.

إعادة تفعيل دبلوماسية خط دمشق – واشنطن وتأثير العامـل الإسـرائيلي، قـسم الدراسات والترجمة، موقع الجمل الالكتروني www.aljamal.com

أمين، محمود، **ماذا وراء الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان**؟ إسلام أون لاين. www.islamonline.net

أيوب، محمد، (2008)، " **عزل سوريا أضر بمصالح أمريكا في الشرق الأوسـط** " ترجمة لتقرير منشور من قبل مجلس العلاقـات الخارجيـة ومعهـد الـسلام الأمريكي بواشنطن، منشور على موقع العلمـانيين العـرب بتـاريخ 22 آب 2008. www.3almani.org

باكير،علي حسين،(2005)، **(جـدل كبيـر حـول العلاقـة مـع سـوريا) مجلـة العصر،2005/6/11.**

البرصان، احمد سليم، (2004) " **مبادرة الشرق الأوسط الكبير الأبعـاد الـسياسية والإستراتيجية" مجلة السياسة الدولية** العدد 155.

البطنيجي، عياد، (2004)، "**التحالف الإيراني السوري: تاريخه، حاضره، مـستقبله**" مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية.

بلال، مازن، (2008)، " **الخط الاستراتيجي .. واشنطن – دمشق – الرباط** " مقال منشور على شبكة الصحافة غير المنحازة بتاريخ 2008/2/9.

بلجر جون،(2003)، **أسياد العالم الجدد**، ت عمر الأيـوبي، دار الكتـاب العربـي، بيروت.

البني، إكرام، **(2005)،** " **الإستراتيجية الأمريكية تجاه سوريا وانتظار بشار الأسد** " مقال منشور بصحيفة الاتحاد. بتاريخ 2005/10/19.

بيرس شمعون،(1994)، **الشرق الأوسط الجديد،** ت محمد علي حافظ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.

التقرير الاستخباراتي للإستراتيجية الأمريكية الخارجية(2005) "أميركا ستعيد رسم خريطة جديدة للشرق الأوسط"، المركز العربي للدراسات المستقبلية.

التقرير الاستراتيجي العربي، (2007)، " **الشرق الأوسط في إستراتيجية إدارة جورج بوش**" مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية - مؤسسة الأهرام – القاهرة.

جاسم، صباح، (2008)، "**سوريا وإسرائيل: زواج بالإكراه لتحالفات جديدة**" شبكة النبأ المعلوماتيةhttp://www.annabaa.org/nbanews/70/277.htm.

الجسر، باسم، (2008**)،** "**تاريخ العلاقات اللبنانية ـ السورية منذ عام 1920**" مقال منشور على موقع امد .

.http://www.amad.ps/arabic/?action=detail&id=17364

جواد، محمد، (2007)**،**"**أمريكا والتخطيط للإرهاب**" مقال منشور على موقع شبكة النبأ المعلوماتية http://www.annabaa.org/nbanews/65/363.htm.

حرب، عماد، (2007)، "**الحرب على الإرهاب وسياسة الهروب إلى الأمام**" مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة.

الخطيب، معتز**،**(2003)، **(سوريا في مواجهة الإعصار الأمريكي)، موقع اسلام اون لاين، تاريخ 18 ابريل،2003.www. islamonline.net**

راشد سامح، **سوريا ولبنان:** حسابات تقليدية وتحديات جديدة**، مجلة السياسة الدولية**، العدد 159، يناير 2005.

السميعي، احمد،(2004)، "**شبح أسلحة الدمار الشامل وتطور الأوضاع الدولية من الحرب العالمية الثانية إلى الآن**"مجلة اقلام تونس 2004 العدد 26.

سوريا التحديات الداخلية والخارجية، مركز القدس للدراسات السياسية، الملف الاستراتيجي، العدد الثالث عشر، كانون الثاني 2004.

شربل، بشارة نصار، (2004)، " **القرار 1559: ورقة ضد سوريا مخاضها عسير في لبنان** " مقال منشور على موقع مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية بتاريخ 2004/10/12.

الشرق الأوسط في إستراتيجية إدارة جورج بوش،مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية،التقرير الاستراتيجي العربي،2004-2005.

شعيبي، عماد فوزي، (2007) ،"**هبت رياح الديمقراطية والحكمة في التعامل معها**" مركز المعطيات والدراسات الإستراتيجية –دمشق. www.dascsyria.org

شلبي، أمين، (1999)، "**هل تستطيع أميركا صوغ إستراتيجية ما بعد الحرب الباردة**" جريدة الحياة في 1999/7/14.

الشوبكي، عمرو، (2005)، "**لبنان ..التاريخ والجغرافيا في مواجهة السياسة**" مجلة السياسة الدولية /التقارير عدد 2005-4-4-1.

الصواف، مفيد، (2007)، " **حسابات الربح والخسارة في مشروع الشرق الأوسط الكبير** " موقع أنباء الأخباري wwwinbaa.com .

عبد العاطي، محمد، (2004)، " **آثار العلاقات الإيرانية بسوريا وحزب الله**" قسم البحوث والدراسات-الجزيرة نت –ملفات خاصة منشور بتاريخ 2004/10/3.

علوش، إبراهيم، (2007)، " **ماذا تعني "الحرب على الإرهاب"؟** نشرت هذه الدراسة الصغيرة على حلقتين في الملحق الأسبوعي للعرب اليوم الأردنية في 8/29، العدد 3726، وفي 9/5 العدد 3733.

عوض، ميخائيل، (2008)**،** " **ملامح إستراتيجية أمريكية جديدة في المنطقة والعالم**" مقالة منشورة على موقع وطن.http://www.watan.com/index.php?option=com_content

غليون، برهان،(2007)، "**سياسة سورية الخارجية أو نهاية الحقبة الإمبراطورية**" منشور على موقع وحدة العمل الوطني لكرد سورية بتاريخ 2007/9/24

.http://www.syriakurds.com/2007/derasat/der038.htm

فودة ، موسى، (2000)، "**جولة مع ملفات السياسة الخارجية الـسورية**" مركـز القدس للدراسات الإستراتيجية / مقال منشور في 2000/11/11.

القروي، هشام، (2005)، " **هل تكون سوريا الهدف القادم**" دراسة لمركز الدراسـات العربية والشرق المعاصر، جامعة السوربون، باريس.

قهوجي، رياض، (2006)، "**حرب لبنان: دور القوى الخارجية ومخاطر اتـساع المواجهة**" مركز الشرق الأدنى والخليج للتحليل العسكري.

كاتزمان، كينيث، (2005)، " **العلاقات السورية – الأمريكية بعـد سـقوط صـدام**" مقال مترجـم ومنشور على موقع مركز الإمـارات للدراسـ ـات والبحـوث الإستراتيجية .

كارتر اشتون وبيري وليام ترجمة: أسعد حليم (2001) "**الدفاع الوقائي.. إستراتيجية أمريكية جديدة للأمن**" مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.

كيالي، ماجد " **إسرائيل تصرخ صرخة الحرب وتدفع بالأوضاع إلى حافة الهاويـة** "، صحيفة الراية القطرية، العدد 9269 بتاريخ 2007/9/23.

لكريني، إدريس، (2006) " **الديمقراطية الأمريكية لمكافحة الإرهاب**" مجلـة شـؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، عدد 125

ما هو جديد العلاقات الإستراتيجية الأمريكية – السورية، مقال منشور على موقـع الجمل للدراسات والترجمة بتاريخ 2006/8/3. www.aljaml.com

مجموعة الأزمات الدولية رقم 83 حول الشرق الأوسـط**،** (2009)، **الحـوار مـع سوريا؟ العوائق والفرص أمام الولايات المتحدة،**

محمد، محسن، (2005)، "سوريا والسيناريوهات الأمريكية المحتملة"**مقال منشور على موقع المعرفة التابع لقناة الجزيرة .**

محمود، لقاء، (2008)، " **هل أخطأت الولايات المتحدة في عزل سـوريا سياسـياً** " مقال منشور في صحيفة البلاد اللبنانية ،العدد 1641.

المديني، توفيق، (2003)، "**التوتاليتارية الليبرالية الجديدة والحـرب علـى الإرهـاب**" اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

المركز الفلسطيني للإعلام 2005/10/20. www.palestine-info.info

مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية (2007) " **الحـرب علـى الإرهـاب . إشكالية الشرعية و المشروعية**" القاهرة في 2007/02/08.
النابلسي محمد احمد (2005) "**المعارضة اللبنانية أزمة تصنيف أم توصيف؟**" صحيفة اللواء المصرية، تاريخ 10 فبراير،2005.
النابلسي، محمد احمد، (2003) "**الديمقراطية الأميركيـــة ... طبعـــة مـشوهـة وقديمـة** " الكفاح العربي .
النابلسي، محمد احمد، (2004) "**رؤية مستقبلية لمشروع الشرق الأوسـط الكبيـر**" محاضرة في مؤتمر آفاق مشروع الشرق الأوسط الجديـد / دمـشق، 27-29 ديسمبر،2004 .
النابلسي، محمد أحمد، (2007) "**أوهام الشرق الأوسط الكبير**" دار الفكر – القاهرة.
نشرة فورين ريبورت: "**أميركـا ستـعيد رسـم خريطة جديــدة للـشـرق الأوســط**" الـمركـز العربـي لـدراسات المستقبلية.
الهجمة الأمريكية على الشرق الأوسط، مركز أبحاث المستقبل، نوفمبر/2005.
www.mustaqbal.net
هيرليتش، روفين، (2008)، " **الدول الراعية للإرهاب: الإرهاب هو الوسيلة المفضلة لدى السياسة السورية**" أبحاث إسـتراتيجية إسـرائيلية / مركـز المعطيـات والدراسات الإستراتيجية – دمشق.
وليد، خالد، (2006)، " **الملف النووي الإيراني والسيناريوهات المحتملـة**"مركـز القـــــــــــدس للدراســـــــــــات الإســـــــــــتراتيجية .http://alqudscenter.org/arabic/pages.php?local_type=128

ب- المراجع الأجنبية:
(Julie,2008, **Resumption of American Relations with Syria is Costly)**
Fred Halliday (2005) " **The Middle East In International"**Cambridge Universtty Press 2005.

Karen A . feste**:** (2007**) The Iranian revolution and political change in the Arab** Joshua Landis & Joe pace**"The Syrian Opposition"**
The Washington Quarterly, Vol.30,pp.45-68.